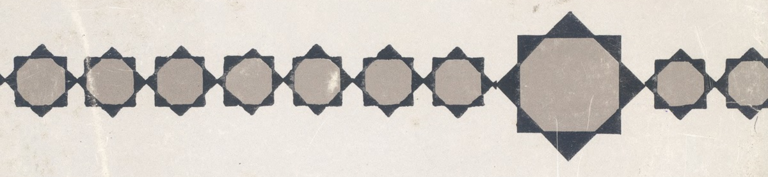
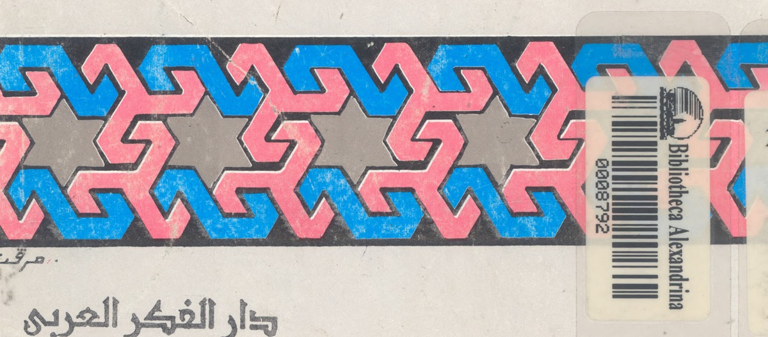
عبد العزيز الشناوى



عمر بن الخطاب

« إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ جَعَلَ الحَقَّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ »

حديث نبوى شريف



دار الفكر العربى

مواقف فى حياة العشرة المبشرين بالجنة

عمر بن الخطاب

«إن الله قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه»

حديث نبوى شريف

عبد العزيز الشناوى

ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربى
الإدارة : ٩٤ ش عباس العقاد – مدينة نصر
القاهرة ت : ٢٦١٩٠٤٩

بسم الله الرحمن الرحيم



مقدمـــة :

الحمد لله على نعمائه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه وأحبائه. ورضى الله عن التابعين لهم بإحسان إلى يوم لقائه

وبعـــد ..

فهذه نبذة من سيرة عمر بن الخطاب، و مواقف من حياته، شخصية فذة فريدة فى تاريخ المسلمين، بل والخلق عموما إلا الانبياء والرسل ..

ومن هو عمر ؟

إنسان جعل الله الحق على قلبه ولسانه ..

ويكفى القارئ أن يتجول فى بستان سيرته، ويمتع فكره بعدة مواقف لعمر ..

ترسم فى النهاية صورة لتلك الشخصية التى لن يجود الزمان بمثلها ..

نفحة من أجيال خلت، نهديها للأجيال المعاصرة، لعل فيها ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

الناشر

في الجاهلية :

ولد عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى القرشى بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة، فى بيت الشرف، فعنى أبوه وأمه (حنتمة بنت هشام بن المغيرة المخزومية أخت أبى جهل) بتربيته، فشب على ولاء كامل لعادات الجاهليين، وتقاليدهم من حمية وعصبية وفتوة ولعب بالميسر ومعاقرة للخمر ورعى الغنم كما كان يرعاها الغلمان من قريش، وتربى على الشجاعة والصدق والأمانة والوفاء والإخلاص.

ولما أصبح غلاما كان شجاعا جريئا معروفا بالذكاء. وعلى الرغم من أن ابن عمه زيد بن عمرو بن نفيل كان على ملة إبراهيم عليه السلام فإن عمر لم يلتفت إلى اتجاه ابن عمه ولم يفكر فيه فقد كان يرى فيه رجلا ذا مزاج منحرف ذهب به صاحبه هذا المذهب.

وإلى عمر بن الخطاب كانت السفارة فى الجاهلية، فكانت قريش إذا وقعت الحرب بينهم أو بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيرا (رسولا) وإذا نافرهم منافر أو فاخرهم مفاخر بعثوه منافرا أو مفاخرا.

عمر والراهب والنبوة :

ولما بلغ عمر بن الخطاب ثمانى عشرة سنة خرج عسيفا (أجيرا) مع الوليد ابن المغيرة (كان يرعى إبله ويرفع أحماله ويحفظ متاعه) فلما كان بالبلقاء (موضع يشمل النصف الجنوبى من شرق الأردن) لقيه رجل من علماء الروم فجعل ينظر إليه ويطيل النظرثم قال :

– أظن اسمك ياغلام عامرا أو عمران أو نحو ذلك؟

فقال عمر بن الخطاب : اسمى عمر ..

قال الرجل الرومى : اكشف عن فخذيك ..

فكشف عمر فإذا على أحدهما شامة سوداء فى قدر راحة الكف ..

فقال الرومى : اكشف عن رأسك ..

فكشف عمر عن رأسه فإذا هو أصلع .. فقال الرومى : اعتمل بيمينك ..

فإذا هو أعسر أيسر..

فصاح الرجل الرومى : أنت ملك العرب وحق مريم البتول ..

فضحك عمر بن الخطاب ساخرا مستهزئا .. فتساءل الرومى :

– أو تضحك؟ وحق مريم البتول إنك ملك العرب وملك الروم وملك الفرس.
فتركه عمر بن الخطاب مستهينا بكلامه.

وكان عمر بعد ذلك يقول : تبعنى ذلك الرومى وهو راكب حمارا فلم يزل معى حتى باع الوليد متاعه وابتاع بثمنه عطرا وثيابا، وقفل إلى الحجاز والرومى يتبعنى لا يسألنى حاجة، ويقبل يدى كل يوم إذا أصبحت كما تقبل يد الملك حتى خرجنا من حدود الشام.

إسلامه:

ولما بعث الله عز وجل رسوله بالهدى ودين الحق رأى عمر أن دعوة النبى عليه الصلاة والسلام تهدد النظام الذى قام عليه بناء قومه، فوقف فى وجهه وأخذ عليه كل سبيل. فكان شديد البأس على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه فدعا رسول الله ﷺ ربه :

– اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك أبى جهل بن هشام أو عمر بن الخطاب.

وذات ضحى خرج عمر بن الخطاب متوشحا سيفه فلقيه نعيم بن عبد الله النحام (كان مسلما ولكنه أخفى إسلامه خوفا من اضطهاد قومه) فلما رأى الغضب يملأ وجه عمر سأله عن وجهته فقال عمر :

– أريد محمدا هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها، وعاب دينها وسب آلهتها، فأقتله.

فقال نعيم فى دهاء : والله لقد غرتك نفسك من نفسك ياعمر. أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدا؟

ثم أردف نعيم بن عبد الله : أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ أنت تزعم أنك هكذا، وقد دخل عليك هذا الأمر فى بيتك؟

تساءل عمر بن الخطاب : وما ذاك؟ وأى أهل بيتى؟

قال نعيم بن عبد الله النحام : ختنك، ابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة، فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما.

فرجع عمر بن الخطاب إلى دار أخته فاطمة مغضبا. وكان عندها خباب بن الأرت معه صحيفة فيها طه يقرئهما إياها. فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب فى مخدع لهم. وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها. وقد سمع عمر حين دنا إلى الباب قراءة خباب عليها. فلما دخل قال:

– ماهذه الهمهمة التى سمعت؟

قالت فاطمة وسعيد : ما سمعت شيئا.

قال عمر : بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه..

وبطش بختنه سعيد بن زيد. فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها عمر فشجها.

فلما فعل ذلك قالت له أخته فاطمة وختنه سعيد بن زيد:

– نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع مابدا لك.

فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وارعوى وقال لأخته :

– أعطينى هذه الصحيفة التى كنتم تقرءون آنفا أنظر ما هذا الذى جاء به محمد؟

قالت فاطمة بنت الخطاب : إنا نخشاك عليها ..

قال عمر بن الخطاب : لا تخافى واللات لأردها إليك بعد أن أقرأها ..

وطمعت فاطمة بنت الخطاب فى إسلام أخيها .. فقالت :

– يا أخى إنك نجس على شركك وإنه لا يمسه إلا المطهرون ..

فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة فإذا فيها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم* طه* ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى* إلا تذكرة لمن يخشى* تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى* الرحمن على العرش استوى* له ما فى السماوات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ ..(١)

فذعر عمر ورجع إلى نفسه. واستشعر رقة تغشوه .. فقال :

– ما أحسن هذا الكلام وأكرمه !!

فلما سمع خباب بن الأرت ذلك خرج من مخبئه وقال :

– والله ياعمر إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة رسول الله ﷺ، فقد دعا البارحة لاثنين فقال : اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك عمربن الخطاب أو عمرو بن هشام. وإنا نرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ..

فقال عمر بن الخطاب : دلنى ياسعيد على محمد حتى آتيه فأسلم ..

وعرف خباب بن الأرت من عمر الصدق فقال :

هو فى بيت الأرقم بن أبى الأرقم معه نفر من أصحابه ..

فأخذ عمر بن الخطاب سيفه فتوشحه. ثم عمد إلى دار الأرقم بن أبى الأرتم. فضرب الباب فلما سمع أصحاب رسول الله ﷺ صوته. قام بلال بن رباح فنظر من خلل الباب ورجع إلى النبى عليه الصلاة السلام وقال :

– يارسول الله هذا عمر بن الخطاب جاء متوشحا سيفه ..

فقال حمزة بن عبد المطلب : ائذن له فإن كان جاء يريد خيرا بذلناه له وإن أراد شرا قتلناه بسيفه ..

فأذن بلال لعمر بن الخطاب. ونهض النبى عليه الصلاةوالسلام حتى لقيه فى الحجرة فأخذ بحجزته ثم جذبه جذبة شديدة وقال :

– ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فو الله ما أرى أن تنتهى حتى ينزل الله بك قارعة ..

---

(١) سورة طه : الآيات ١–٦.

فقال عمر بن الخطاب :

– يارسول الله جئتك لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله ..

فكبر النبي عليه الصلاة والسلام تكبيرة عرف من فى دار الأرقم أن عمر بن الخطاب أسلم . وقال رسول الله ﷺ :

– قد هداك الله ياعمر ..

وأراد عمر أن يعلن إسلامه على الملأ .. فتساءل :

– أى قريش أنقل للحديث؟

قال جعفر بن أبى طالب وزيد بن محمد والأرقم بن أبى الأرقم :

–جميل بن معمر ..

فخرج عمر بن الخطاب حتى جاء الناس فى الحجر واجتمعوا. وأتى جميل ابن معمر فأصغى إليه فيما بينه وبينه : إني صبوت ..

قال جميل بن معمر : أصبوت؟

قال عمر بن الخطاب : نعم ..

فقال جميل بن معمر بأعلى صوته : الا إن ابن الخطاب قد صبأ.

فقال عمر من خلفه : كذب ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..

فقام الناس فلم يزل يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس وأعيا فقعد وهم على رأسه فقال :

– افعلوا مابدا لكم فلوكنا ثلاثمائة نفر تركناها لكم أو تركتموها لنا (يعنى مكة).

وبينما هم كذلك أقبل العاص بن وائل السهمى (خال عمر بن الخطاب) عليه حلة فقال : ما شأنكم؟

قالوا : صبأ عمر.

قال العاص بن وائل : فمه رجل اختار لنفسه أمرا فماذا تريدون؟ أترون بنى عدى يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلوا عن الرجل .

فانفرجوا عنه كأنما كانوا ثوبا كشط عن عمر ..

وانطلق عمر إلى دار أبى جهل (كان يعلم أنه أشد أهل مكة عداوة لرسول الله ﷺ) فضرب عليه بابه فتساءل أبو جهل :

– ماهذا ؟

قال عمر بن الخطاب : عمر بن الخطاب.

فقال أبو جهل: مرحبا وأهلا بابن أختى .. ما جاء بك؟

قال عمر : جئتك ببشارة؟

فتساءل أبو جهل : ماهى؟

قال عمر بن الخطاب : أشعرت أنى قد صبوت.

قال أبو جهل : أو فعلت؟

قال عمر بن الخطاب :نعم .

قال أبو جهل : لا تفعل.

قال عمر : إنى قد آمنت بالله ورسوله محمد ﷺ وصدقت ما جاء به ..

فدخل أبو جهل وضرب الباب فى وجه عمر وقال فى غيظ :

– قبحك الله وقبح ما جئت به.

ولما أسلم عمر بن الخطاب نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ وقال:

– يامحمد لقد استبشر أهل السماء بإسلام عمر ..

وكان المسلمون لا يستطيعون أن يصلوا بالكعبة آمنين حتى أسلم عمر بن الخطاب فقال :

– يارسول الله ألسنا على الحق إن متنا وإن حيينا؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : بلى والذى نفسى بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييتم ..

قال عمر بن الخطاب: ففيم الاختفاء؟ والذى بعثك بالحق ما بقى مجلس كنت أجلس فيه بالكفر إلا أظهرت فيه الإسلام غير هائب ولا خائف. والذى بعثك بالحق لنخرجن، والله لا يعبد الله سرا بعد اليوم...

وخرج أصحاب رسول الله ﷺ فى صفين : حمزة بن عبد المطلب فى مقدمة أحدهما وعمر بن الخطاب فى مقدمة الآخر. فثار التراب لشدة وطء المسلمين. وقد شهر عمر سيفه وقال بأعلى صوته :

– لا إله إلا الله محمد رسول الله ..

ودخل أتباع النبى عليه الصلاة والسلام المسجد وطافوا بالكعبة وراحوا يصلون آمنين مطمئنين. ولما رجع رسول الله ﷺ إلى دار الأرقم بن أبى الأرقم قال فى استبشار :

– لقد فرقت بين الحق والباطل .. أيها الفاروق ..

وفى سبب إسلام عمر بن الخطاب يقول عمر :

– خرجت أتعرض لرسول الله ﷺ قبل أن أسلم. قال أبو جهل بن هشام : يامعشر قريش : إن محمدا قد شتم آلهتكم وسفه أحلامكم وزعم أن من مضى من أسلافكم يتهافتون فى النار، ألا من قتل محمدا فله علىَّ مائة ناقة حمراء وسوداء. وألف أوقية من الفضة، وكذا وكذا ثوبا، وغير ذلك فقال عمر : أنا لها. فقال الملأ من قريش : أنت لها ياعمر .. وتعاهد معهم على ذلك. قال عمر : فخرجت متقلدا سيفى متنكبا كنانتى، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح بسورة الحاقة. فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت : هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرأ : ﴿إنه لقول رسول كريم* وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون﴾(١) قلت : كاهن علم ما فى نفسى؟ فقرأ ﴿ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون﴾(٢)فوقع الإسلام فى قلبى كل موقع. ثم انصرف فتبعته فقال رسول الله ﷺ :

---

(١) سورة الحاقة آية ٤٠ – ٤١.

(٢) سورة الحاقة آية ٤٢.

- من هذا ؟

قلت : عمر.

قال النبى عليه الصلاة والسلام : ياعمر ما تدعنى لا ليلا ولا نهارا؟

فخشيت أن يدعو على فقلت : أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ..

فقال عليه الصلاة والسلام : ياعمر أتسره؟

قلت : لا والذى بعثك بالحق لأعلننه كما أعلنت الشرك.

فحمد رسول الله ﷺ الله تعالى ثم قال :

- هداك الله ياعمر ..

ثم مسح صدرى ودعا لى بالثبات. ثم انصرف رسول ﷺ إلى بيته.

وإذا كان أصحاب رسول الله ﷺ (كانو أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة سبقوا عمر بن الخطاب إلى الإسلام) قد فرحوا بإسلامه (كان إسلامه فى العام السادس من النبوة) فإن قريشا قد ملأ الحزن والغيظ قلوب ساداتها وقالوا:

- لقد انتصف القوم (المسلمون) منا ..

ولما أسلم عمر بن الخطاب نزل جبريل عليه السلام على النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

- يا محمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر.

يقول عبد الله بن مسعود : والله لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلى بالكعبة (أى عندها) ظاهرين آمنين حتى أسلم عمر فقاتلهم (المشركين) حتى تركونا فصلينا وجهرنا بالقراءة (بقراءة القرآن).

وكان أصحاب رسول الله ﷺ لا يقرأون القرآن إلا سرا.

ويقول صهيب بن سنان الرومى : لما أسلم عمر جلسنا حول البيت حلقاً. ودعا إلى الإسلام علانية، وطفنا بالبيت وانتصفنا ممن غلظ علينا. لقد كان إسلام عمر بن الخطاب فى ذى الحجة وهو ابن ست وعشرين سنة، وقد سبقه إلى الإسلام أخوه الأكبر زيد بن الخطاب. وكان عمر أول من جهر بالإسلام.

ومنذ أن دخل عمر بن الخطاب فى الإسلام اشتد الصراع بين قريش وأصحاب رسول الله ﷺ، وأخذ طابع الجد، فقد رأى المشركون أن إسلام حمزة بن عبد المطلب ثم إسلام عمر بن الخطاب يؤذن بأن رسول الله ﷺ ينتزع كل يوم سيدا من ساداتهم، ويملك يدا قوية من أيديهم الضارية، وأنهم لو صبروا على ذلك لرجحت كفة النبى عليه الصلاة والسلام وأصحابه، وأصبحت له اليد العليا والغلبة عليهم، وإذن فليتعجلوا وليأخذوا رسول الله ﷺ وأتباعه قبل أن يأخذوهم وإلا انطلق السهم من الرمية.

أما المسلمون فقد رأوا فى إسلام عمر قوة لهم وإعزازا لدينهم .. وأنزل الله: ﴿يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾.(١) لقد كان إسلام عمر حدثا بارزا من أحداث الدعوة الإسلامية، فقد عز جانب المستضعفين وقويت شوكة المسلمين. لقد كان كثير من أصحاب رسول الله ﷺ يخفون إسلامهم قبل أن يعلن عمر إسلامه فلما أسلم ابن الخطاب أعلن هؤلاء إسلامهم حتى العبيد منهم فقد وجدوا أن من تمام إيمانهم أن يجهروا بدينهم وأن يحتملوا الأذى فى سبيل الله عز وجل.

سأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ يوما :

– يارسول الله أليس هذا مقام إبراهيم أبينا؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : بلى.

فقال عمر بن الخطاب : فلو اتخذت منه مصلى ..

فلم تمض أيام حتى نزل قوله تعالى: ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾(٢)

لقد كان عقله المضئ تنبثق منه أمنية أو فكرة فينزل بها الوحى بعد قليل .. من أجل هذا قال رسول الله ﷺ :

– لو كان بعدى محدثون لكان عمر.

---

(١) سورة الأنفال آيه ٦٤.

(٢) سورة البقرة آية ١٢٥.

هجرته علانية :

ولما بايع رسول الله ﷺ الأنصار على الإسلام على النصرة له وللمسلمين الذين يهاجرون إليهم (كان ذلك فى بيعتى العقبة الأولى والثانية) وأذن لأصحابه أن يهاجروا إلى يثرب وأن ينزلوا منازل إخوانهم الأنصار حيث يستبدل المهاجرون أهلا بأهل وبلدا ببلد .. فهاجر أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام سرا ومستخفين يلتمسون لذلك الوسائل التى تخفى عن قريش أمرهم حتى يبلغوا مأمنهم فى دار هجرتهم.. أما عمر بن الخطاب فقد أبت نفسه إلا أن يخرج من مكة على الملأ، وأعلنها صريحة مدوية، وكأنه ينذر قريشا بحرب أعلنها قبل أن يهاجر إلى يثرب .. فقد تقلد سيفه وتنكب قوسه (وضعها فى منكبه) وانتضى فى يده أسهما (أخرجها من الكنانة فجعلها فى يده) وأتى الكعبة وأشراف قريش بفنائها فطاف سبعا ثم صلى ركعتين عند المقام، ثم أتى حلقهم واحدة واحدة فقال :

– شاهت الوجوه (قبحت) من أراد أن تثكله أمه أو ييتم ولده أو ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى.

فما تبعه أحد .. ثم مضى إلى يثرب.

يقول البراء بن عازب الأنصارى : أول من قدم علينا من المهاجرين مصعب ابن عمير ثم عبد الله بن أم مكتوم ثم عمر بن الخطاب فى عشرين راكبا (كانوا من المستضعفين) فقلنا : مافعل رسول الله ﷺ قال : هو على أثرى.

ثم قدم النبى عليه الصلاة والسلام وأبو بكر.

وأصبح عمر بن الخطاب وجها بارزا من وجوه المسلمين، فحظى باحترام وتقدير المهاجرين والأنصار على السواء، فإن شخصية ابن الخطاب جدير بها أن تحل محل الصدارة حيث كان، وتجعل منه الرجل الذى إذا حضر تعلقت به الأنظار وشخصت نحوه القلوب. فكان أقرب الناس إلى النبى عليه الصلاة والسلام وألزمهم له، وكأنه ظل لرسول الله ﷺ، فقد كان ابن الخطاب أحرص أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام ملازمة لرسول الله ﷺ وإرواء روحه من النظر إليه والاستماع إليه.

وآخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار ليملأ المسلم بتلك المؤاخاة فراغ مشاعره التى خلت من مشاعر الأخوة وعلائق النسب التى قطعها الإسلام بين المسلمين وذوى قرابتهم من المشركين.

فآخى رسول الله ﷺ بين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك.

واطمأنت برسول الله ﷺ دار هجرته وأظهر الله تعالى بالمدينة دينه و ألف بين قلوب الأوس والخزرج فماتت العداوة التى ظلت بينهما سنوات طويلة فبعث النبى عليه الصلاة والسلام السرايا ليتحسس أخبار قريش.

جهاده في سبيل الله :

ولما كان يوم بدر أراد رسول الله ﷺ أن يستنفد كل وسائل الصلح قبل أن يخوض القتال مع المشركين فما أرسله الله إلا رحمة للعالمين. فبعث النبى عليه الصلاة والسلام إليهم عمر بن الخطاب ليقول لهم :

– ارجعوا فإنه إن يلى هذا الأمر منى غيركم أحب إلى من أن تلوه منى.

فتلقفها حكيم بن حزام فقال لسادات قريش :

– قد عرض نصفا فاقبلوه فو الله لا تنصرون عليه بعد ما عرض من النصف.

ولكن عدو الله أبا جهل بن هشام قال :

– والله لا نرجع بعد أن مكننا الله منهم.

فرجع عمر بن الخطاب إلى رسول الله ﷺ وأخبره بما حدث.

وكانت وقعة بدر .. ونصر الله نبيه وهزم المشركين، فوقف النبى عليه الصلاة والسلام على شفة القليب وقال :

– ياعتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام بئس عشيرة النبى، كذبتمونى وصدقنى الناس، وأخرجتمونى وآوانى الناس، وقاتلتمونى ونصرنى الناس، هل وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقا.

فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله كيف تكلم أجسادا قد جيفوا؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لايستطيعون أن يجيبونى.

لم يكن عمر بن الخطاب من أبطال المسلمين فى الحرب شأنه فى هذا شأن الصديق حيث لم يعرف لهما ما عرف لعلى بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وحمزة بن عبد المطلب وسعد بن أبى وقاص وغيرهم من النكاية بالعدو في ميدان القتال (ليس هذا يعنى أنهما لم يكونا ذوى بأس وقوة أو لأنهما كانا يضنان بأنفسهما عن الاستشهاد فى سبيل الله) ولكن النبى عليه الصلاة والسلام حجزهما ليكونا بجانبه وليكونا وزيرين للنبى عليه الصلاة والسلام فى السلم والحرب .. وكان رسول الله ﷺ ينزل رأى عمر من نفسه منزلة خاصة، لأنه ﷺ كان يعلم أنه من المحدثين الملهمين ذوى القريحة اللماحة والبصيرة النافذة. يقول رسول الله ﷺ :

- إن الله قد جعل الحق على لسان عمر وقلبه.

ويقول النبى عليه الصلاة والسلام : رحم الله عمر يقول الحق وإن كان مرا، تركه الحق وماله من صديق.

واستشار رسول الله ﷺ أصحابه فى شأن أسارى بدر .. فكان رأى أبى بكر قبول الفدية منهم، ولكن عمر بن الخطاب كان يرى قتلهم .. وكان رأى رسول الله ﷺ مع رأى أبى بكر ولم يهو ما قاله عمر .. فلما كان الغد وجد النبى عليه الصلاة والسلام وأبا بكر يبكيان فقال :

- يانبى الله أخبرنى من أى شئ تبكى أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإلا تباكيت لبكائكما؟

فقال ﷺ : لقد عرض علىّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة.

والشجرة قريبة حينئذ.

وأنزل الله تعالى : ﴿ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة﴾[1] لقد جاء القرآن من فوق سبع سماوات موافقا لرأى عمر بن الخطاب.

ويوم أحد لما خالف الرماة أمر النبى عليه الصلاة والسلام وكانت هزيمة المسلمين وتفرقوا فى كل وجه .

وبينما عمر بن الخطاب فى رهط من المسلمين قعود مر بهم أنس بن النضر (عم أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ) فتساءل :

– ما يقعدكم؟

قال المسلمون الجالسون مع عمر :

– قتل رسول الله ﷺ ..

فقال أنس بن النضر : فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه.

ثم قام أنس بن النضر فجالد قريشا حتى قتل وبه سبعون ضربة فى وجهه.

ورأى عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ مع على بن أبى طالب وأبى بكر وسعد بن أبى وقاص وأبى دجانة ففرح وانطلق وراءه .. لقد أدرك أن المشركين أطلقوا هذه الفرية حتى ألقوا الرعب فى قلوب أصحابه.

يقول عبد الله بن عباس :

– لما انتقض أحد (جبل أحد) قال رسول الله ﷺ : اسكن فما عليك إلا نبى وصديق وشهيد (كان عليه النبى عليه الصلاة والسلام وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص وسعيد بن زيد).

وأقبل أبو سفيان بن حرب على فرس فوقف على أصحاب النبى عليه الصلاة والسلام وهم فى عرض الجبل فنادى بأعلى صوته :

---

(١) سورة الأنفال : آية ٦٧.

– أين ابن أبى قحافة؟ أين ابن الخطاب؟ الحرب سجال حنظلة بحنظلة (يعنى حنظلة بن أبى عامر بحنظلة بن أبى سفيان).

فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله أجيبه؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : نعم فأجبه ..

قال أبو سفيان بن حرب : أعل هبل ..

فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطاب:

– قل له : الله أعلى وأجل ..

فقال أبو سفيان بن حرب : إن لنا العزى ولا عزى لكم ..

فقال عمر : الله مولانا ولا مولى لكم ..

قال أبو سفيان بن حرب : ألا إن الأيام وإن الحرب سجال .

فقال عمر بن الخطاب : ولاسواء، قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار ..

قال أبو سفيان : إنكم لتقولون ذلك جرنا إذاً و حزنا ..

ثم أردف أبو سفيان : يا ابن الخطاب قم إلى أكلمك ..

فقام عمر إليه فقال أبو سفيان بن حرب : أنشدك بدينك هل قتلنا محمدا؟

قال عمر : اللهم لا وإنه ليسمع كلامك الآن ..

فقال أبو سفيان : أنت عندى أصدق من ابن قميئة ..

ثم صاح أبو سفيان بن حرب : إنكم واجدون فى قتلاكم عبثا ومثلا إن ذلك لم يكن من رأى سراتنا ..

ثم أدركته حمية الجاهلية فقال : وأما إذا كان ذلك فلم نكرهه ..

ولم يفكر أبو سفيان وفرسان قريش فى أن يصعدوا إلى الجبل ليقضوا على رسول الله ﷺ، فالخيل لا تستطيع الصعود إليه، وإن صعدوا إليه رجالة لم يثقوا بالظفر به لأن معه أكثر أصحابه وهم مستميتون فى الدفاع عنه ﷺ. فقنع أبو سفيان والذين معه بما حققوه من نصر وأملوا يوما ثانيا يكون لهم فيه الظفر فنادى أبو سفيان بن حرب :

– ألا إن موعدكم بدر الصفراء على رأس الحول ..

فوقف عمر بن الخطاب ينتظر ما يقول النبى عليه الصلاة والسلام فقال له:

– قل نعم ..

فانصرف أبو سفيان إلى أصحابه .. ورحلوا إلى مكة.

وكانت حفصة بنت عمر تحت خنيس بن حذافة السهمى .. فلما استشهد يوم أحد تزوجها النبى عليه الصلاة والسلام، تزوج حفصة توثيقا لرابطة الأخوة بينه وبين عمر، وتمكينا لها وتكريما لعمر، وتعريفا بمنزلته عنده، وفتحا لبيته يدخله حيث شاء وفيه ابنته حفصة. وبهذه الصلة الوثيقة بالنبى عليه الصلاة والسلام استطاع الفاروق أن يتلقى فيضا زاخرا من نفحات النبوة وأن ينهل من ينابيع الحكمةَ وأن يكسو روحه من أنوارها ويملأ عقله وقلبهِ من هديها.

وذات يوم كان عمر بن الخطاب وبعض الصحابة جلوسا عند النبى عليه الصلاة والسلام فجاء رجل شديد بياض الثياب شديد سواد شعر الرأس لا يرى عليه أثر سفر ولا يعرفه من أصحاب رسول الله أحد فجلس إلى النبى عليه الصلاة والسلام فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع يديه على فخذيه ثم قال :

– يامحمد ما الإسلام؟

قال رسول الله ﷺ : شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت.

قال الرجل : صدقت.

فعجب أصحاب رسول الله ﷺ منه يسأل النبى عليه الصلاة والسلام ويصدقه. ثم قال :

– يامحمد ما الإيمان؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام:

– أن تؤمن بالله وملائكته ورسله وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره..

قال الرجل : صدقت ..

فعجب صحابة النبى عليه الصلاة والسلام من الرجل يسأل رسول الله ﷺ ويصدقه. ثم قال :

– يامحمد ما الإحسان؟

قال رسول الله ﷺ : أن تعبد الله كأنك تراه فإنك إن لم تكن تراه فإنه يراك..

قال الرجل : فمتى الساعة؟

قال رسول الله ﷺ : ما المسئول عنها بأعلم من السائل ..

فتساءل الرجل : فما أماراتها؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : أن تلد الأمة ربتها – تلد العجم العرب – وأن ترى الحفاة العراة العالة – الفقير – رعاة الشاء يتطاولون فى البناء..

ولقى رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب بعد ثلاث فسأله :

– أتدرى من الرجل؟

قال عمر بن الخطاب : الله ورسوله أعلم.

قال النبى عليه الصلاة والسلام : ذاك جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم ..

ورأى رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب وهو يبول قائما فقال له :

– ياعمر لا تبل قائما ..

يقول عمر بن الخطاب : فما بلت قائما بعد ..

ثم انطلق النبى عليه الصلاة والسلام يبول فاتبعه عمر بماء فسأله :

– ماهذا ياعمر؟

قال عمر بن الخطاب : ماء.

فقال رسول الله ﷺ : ما أمرت كلما بلت أن أتوضأ ولو فعلت لكانت سنة.

وخرج رسول الله ﷺ على أصحابه ورأسه يقطر ماء فصلى بهم فى ثوب واحد متوشحا به قد خالف بين طرفيه فلما انصرف قال عمر بن الخطاب:

- يارسول الله تصلى بنا فى ثوب واحد؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

نعم أصلى فيه .. وفيه - أى قد جامعت فيه.

وذات يوم رأى رسول الله ﷺ على عمر بن الخطاب قميصا أبيض فسأله:

- ثوبك هذا غسيل أم جديد؟

فقال الفاروق : لا بل غسيل..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : البس جديدا وعش حميدا ومت شهيدا..

وسأل عمر بن الخطاب النبى عليه الصلاة والسلام يوما : يانبى الله كيف بمن يصوم يومين ويفطر يوما؟

فقال رسول الله ﷺ : أو يطيق ذلك أحد؟

قال الفاروق : يارسول الله كيف بمن يصوم يوما ويفطر يوما؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : ذلك صوم داود - أحب الصيام إلى الله صيام داود فإنه كان يصوم يوما ويفطر يوما، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويصلى ثلثه وينام سدسه.

فتساءل ابن الخطاب : كيف بمن يصوم يوما ويفطر يومين؟

قال رسول الله ﷺ : وددت أنى طوقت ذلك.

وسمع رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب يحلف بأبيه فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

- إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ..

يقول عمر بن الخطاب : فما حلفت بها ذاكرا ولا آثرا .

قال رسول الله ﷺ : وإن أحدكم ليخرج بصدقته من عندى متأبطها وإنما هى نار ..

فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله كيف تعطيه وقد علمت أنها نار.

قال النبى عليه الصلاة والسلام :

– فما أصنع يأبون إلا مسألتى ويأبى الله عز وجل لى البخل.

ولبس عمر ثوبا جديدا فقال :

– الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى جلوتى ..

ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من لبس ثوبا جديدا فقال : الحمد لله الذى كسانى ما أوارى به عورتى وأتجمل به فى جلوتى ثم عمد إلى الثوب الذى أخلق أو ألقى فتصدق به كان فى كنف الله وفى حفظ الله وفى ستر الله حيا وميتا .. قالها ثلاثا.

وشهد عمر بن الخطاب مع النبى عليه الصلاة والسلام غزوة الخندق وصلح الحديبية.

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل متواضعا من سمائه العالية إلى أرض البشر فيخالط أصحابه فيطيب بذلك نفوسهم ويرضى مشاعرهم .. فكان يعاملهم جميعا معاملة الإخوة والأصحاب .

وكان عمر بن الخطاب يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وينظر إلى عظمته بإيمان وإعجاب وتقدير .

وذات يوم استأذن عمر النبى عليه الصلاة والسلام فى العمرة فأذن له وقال صلى الله عليه وسلم :

– ياأخى لا تنسنا من دعائك .

يا أخى ؟ أقالها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر حقا ؟ ماذا يصنع النبى عليه الصلاة والسلام بدعاء عمر عند الكعبة وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟

ولكن ابن الخطاب كان يقول كلما ذكرها :

– ما أحب أن لى بها ما طلعت عليه الشمس لقوله ياأخى .

نعم شـهـادة عظيـمـة من رسـول الله صلى الله علـيه وسـلم أن يؤاخى الناس وشهادة لعظمة عمر فإنه أهل لذلك الإخاء .

وكان عمر بن الخطاب يناقش الأمور التى تحتاج إلى مناقشة ويسلم تسليما لقضـايا لا يعرف أحيانا حكمتها ولكنه مقتنع بها لأن النبى عليه الصـلاة والسلام جاء بها .. فهو يقبل الحجر الأسود فى الكعبة ويقول كأنه يخاطبه :

- إنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ووالله لولا أنى رأيت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك .

ويهرول كاشفا عن منكبيه ويقول :

- فيم هذه الرملات (الهرولة) والكشـف عن المناكب وقد أظهر الله الإسلام ونفى الكفر ؟

وذات يوم كان رسـول الله صلى الله عليه وسلم جالسـا فى مسجده وحوله أصحابه فقال عليه الصلاة والسلام :

- بينما أنا نائم رأيتنى فى الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر قلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا : لعمر، فذكرت غيرتك فوليت مدبرا .

فبكى الفاروق وقال : أعليك أغار يارسول الله ؟

ودخل عمر بن الخطاب على رسـول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش يسـألنه ويستكثـرنه رافعـات أصـواتهـن، فلمـا سـمـعن صـوت عـمـر انقمعن (انزوين وانكمشن) وسكنّ فضـحك رسـول الله صلى الله عليـه وسلم فقال عمر بن الخطاب :

- يا عدوات أنفسهن تهبننى ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

- ياعمر ما لقيك الشيطان سالكا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك .

وخرج عمر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد فتح خيبر ..

وذات ضحى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم جلوس بالمسجد فنظر إلى عمر وقال :

– بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا على وعليهم قُمُص فمنها ما يبلغ الثدى ومنها ما يبلغ دون ذلك وعرض على عمر وعليه قميص يجره .

فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

– فما أولته يارسول الله ؟ ..

قال لبس عمر بن الخطاب الإسلام فكان له منه رداء يكسوه من رأسه إلى أخمص قدميه .

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

– ببينما أنا نائم إذ أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى أنى لأرى الرى يجرى فى أظافرى ثم أعطيت فضلى (مابقى منى) عمر بن الخطاب .

فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

– فما أولت ذلك يارسول الله ؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : العلم .. لو كان بعدى نبى لكان عمر بن الخطاب.

وشهد عمر بن الخطاب عمرة القضاء وفتح مكة وغزوة حنين، ولما طال حصار الطائف استشار النبى عليه الصلاة والسلام نوفل بن معاوية فى المقام عليهم فقال:

– يارسول الله ثعلب فى جحر إن أقمت عليه أخذته وإن تركته لم يضرك.

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله أفلا أوذن بالرحيل؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : بلى.

ولما رجع رسول الله ﷺ من حصار الطائف إلى الجعرانة فقسم التبر والغنائم وهو فى حجر بلال بن رباح فقال رجل – عبد الله بن أبى بن سلول – :

– اعدل يا محمد فإنك لم تعدل ..

فقال رسول الله ﷺ :

– ويلك ومن يعدل بعدى إذا لم أعدل؟

فقال عمر بن الخطاب : دعنى يارسول الله حتى أضرب عنق هذا المنافق ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : إن هذا فى أصحاب أو أصيحاب له يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

يقول ابن عباس : إن النبى ﷺ قال : بينما أنا جالس فى مسجدى أتحدث مع جبريل إذ دخل عمر بن الخطاب فقال : أليس هذا أخاك عمر بن الخطاب؟ فقلت : بلى أخى : أله اسم فى السماء كما له اسم فى الأرض؟ فقال : والذى بعثك بالحق إن اسمه فى السماء أشهر من اسمه فى الأرض .. اسمه فى السماء فاروق وفى الأرض عمر.

الشيطان يخشى عمر :

وخرج النبى عليه الصلاة والسلام فى بعض مغازيه فلما رجع إلى المدينة جاءت جارية سوداء فقالت :

– يارسول الله كنت نذرت إن ردك الله سالما أن أضرب بين يديك بالدف ..
قال رسول الله ﷺ : إن كنت نذرت فاضربى وإلا فلا .

فجعلت الجارية السوداء تضرب بالدف فدخل أبو بكر وهى تضرب ثم دخل على بن أبى طالب وهى تضرب ثم دخل عثمان بن عفان وهى تضرب ثم دخل عمر بن الخطاب فألقت الدف تحت استها وقعدت عليه فقال رسول الله ﷺ :

– إن الشيطان ليخاف منك ياعمر، إنى كنت جالسا وهى تضرب فدخل أبو بكروهى تضرب ثم دخل على وهى تضرب ثم دخل عثمان وهى تضرب ثم دخلت أنت ياعمر فألقت الدف.

سرية عمر بن الخطاب :

وبعث رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب فى ثلاثين رجلا إلى عجز (طائفة من هوازن وهو محل بينه وبين مكة أربع ليال بطريق صنعاء) يقال له تربة، وأرسل رسول الله ﷺ دليلا من بنى هلال فكان يسير الليل ويكمن النهار، فأتى الخبر لهوازن فهربوا فجاء عمر بن الخطاب محلهم فلم يجد منهم أحدا فانصرف راجعا إلى مدينة رسول الله ﷺ فلما كان بمحل بينه وبين المدينة ستة أميال قال له الدليل (من بنى هلال).

– هل لك جمع آخر من خثعم؟

فقال عمر بن الخطاب : لم يأمرنى رسول الله ﷺ بهم إنما أمرنى بقتال هوازن.

غزوة العسرة :

وخرج الفاروق عمر مع النبى عليه الصلاة والسلام يوم تبوك (غزوة العسرة) .. فلما كان المسلمون فى الطريق (كان الحر شديدا).

أصاب الناس الجوع والمجاعة فصارت تمص التمرة الواحدة جماعة يتناولونها .

فقال الناس : يارسول الله لو أذنت لنا فننحر نواضحنا (الإبل التى تحمل الماء) فأكلنا وادّهنا.

فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله إن فعلت فنى الظهر، ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعلها فى ذلك ..

فقال رسول الله ﷺ : نعم .

فدعا النبى عليه الصلاة والسلام بنطع فبسطه ثم دعاهم رسول الله ﷺ بفضل أزوادهم فجعل الرجل يأتى بكف ذرة ويجئ الآخر بكف من تمر ويجئ الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شئ يسير. فدعا رسول الله ﷺ بالبركة.

ثم قال ﷺ لهم : خذوا فى أوعيتكم ..

فأخذوا حتى ماتركوا فى العسكر وعاء إلا ملئوه وأكلوا حتى شبعوا، وفضلت فضلة فقال النبى عليه الصلاة والسلام.

– أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله، لا يلقى الله بها عبد غير شاك إلا وقاه الله النار.

ثم أسند رسول الله ﷺ ظهره إلي نخلة وقال :

– ألا أخبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن من خير الناس رجلاً عمل في سبيل الله على ظهر فرسه أو على ظهر بعيره أو على قدميه حتى يأتيه الموت. وإن من شر الناس رجلا فاجرا جريئا يقرأ كتاب الله لا يرعوى إلى شئ منه ..

وأقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرين ليلة يصلى ركعتين ولم يتجاوز تبوك. ثم استشار النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه فى مجاوزتها ..

فقال عمر بن الخطاب : إن كنت أمرت بالسير فسر ..

فقال رسول الله ﷺ : لو أمرت بالسير لم أستشركم فيه ..

فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله إن للروم جموعا كثيرة وليس بها أحد من أهل الإسلام وقد دنونا (اقتربنا) وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمرا.

لقد كان عمر بن الخطاب من أبرز أصحاب رسول الله ﷺ فى مواقف المشورة .. وهذا تصريح بأن غزوة تبوك لم يقع بها مقاتلة مع الروم ولا حصل فيها غنيمة.

ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة.

القرآن يوافق عمر :

وأقبل عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول إلى النبى عليه الصلاة والسلام وأخبره أن أباه (كان عبد الله بن أبى بن سلول رأس المنافقين فى المدينة) قد مات، ودعا رسول الله ﷺ ليصلى عليه، فوافق النبى عليه الصلاة والسلام وخرج مع

عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول (كان من أكابر الصحابة) فلما قام رسول الله ﷺ ليصلى على عبد الله بن أبى بن سلول قال عمر بن الخطاب:

يارسول الله أتصلى على ابن أبى وقد قال يوم كذا (خرج عبد الله بن أبى ابن سلول مع رسول الله ﷺ فى غزوة بنى المصطلق - غزوة المريسيع - فأحدث فتنة كاد يقتتل فيها المهاجرون والأنصار وقال : لقد كاثرونا - يقصد المهاجرين - فى ديارنا، وكادوا يجعلوننا غرباء فى بلدنا والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز - يقصد نفسه - منها الأذل - يعنى النبى عليه الصلاة والسلام - فلما علم رسول الله ﷺ أخبر أسيد بن حضير رئيس الأوس فقال : والله يا رسول الله إنه هو الأذل وأنت الأعز .. وقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله ألا تبعث إلى هذا المنافق من يضرب عنقه؟ فرفض النبى عليه الصلاة والسلام، وقال : كلا أترى ياعمر كيف يقول الناس محمد يقتل أصحابه؟ وأنزل الله عز وجل فى عبد الله بن أبى بن سلول وأصحابه المنافقين ﴿لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ ولما علم ابنه عبد الله وكان من أصدق الصحابة إيمانا أراد أن يقتل أباه عبد الله بن أبى بن سلول ورصده على مشارف مدينة رسول الله ﷺ فلما دنا ليدخلها جرد عبد الله سيفه وشهره فى وجه أبيه، وقال له: والله لا تدخلها حتى يأذن لك رسول الله ﷺ، لتعلم من الأذل ومن الأعز؟ ولما جاء النبى عليه الصلاة والسلام شكا عبد الله بن أبى ابنه عبد الله إليه فقال رسول الله ﷺ، : دعه يا عبد الله يدخل وترفق به. فقال عمر بن الخطاب : أليس هو القائل كذا وكذا وكذا؟

فتبسم نبى الرحمة وقال : أخر عنى ياعمر.

كان الأمر عند عمر بن الخطاب «حق أو لاحق» كان على طبيعة واحدة مع الحق لا يعرف فيه هوادة أو لينا، ولا يقبل مهادنة أو موادعة معه .. فلما أكثر على النبى عليه الصلاة والسلام قال :

- أما إنى خيرت فاخترت، ولو أعلم أنى لو زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها.

فصلى النبى عليه الصلاة والسلام .. ثم انصرف. فلم يمكث يسيرا حتى نزل قوله تعالى ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبدا﴾ لقد جاء القرآن موافقا رأى ابن الخطاب ولكنه تعجب من جرأته على رسول الله ﷺ يومئذ.

يقول عبد الله بن مسعود : فضل الناس عمر بن الخطاب بأربع ، منها ذكر الأسرى يوم بدر أمر بقتلهم فأنزل الله تعالى : ﴿لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم﴾ (1) .

لقد جاء القرآن موافقا لراى عمر بن الخطاب فى مواقف كثيرة فقد كان الفاروق يرى الرأى فينزل به القرآن، يقول على بن أبى طالب.

– إن فى القرآن لرأيا من راى عمر ..

ويقول عبد الله بن عمر : ما قال الناس فى شئ وقال فيه عمر إلا جاء القرآن بنحو ما يقول عمر .

ويقول أبو حفص : وافقت ربى فى ثلاث قلت : يارسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى فنزلت ﴿واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾(2) وقلت : يارسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن

فقالت زينب بنت جحش : مالك يابن الخطاب؟ إن الوحى ينزل فى بيوتنا .. فنزلت آية الحجاب ﴿يا أيها الذين أمنوا لا تدخلوا بيوت النبى إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم والله لا يستحى من الحق وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب﴾(3) .. وقلت لأزواج النبى ﷺ لما تمالأن عليه فى الغيرة؟ قلت لهن : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن. فنزلت كذلك.

كذلك نزل القرآن بموافقته فى أسرى بدر. وفى تحريم الخمر فقال :

– اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا ..

---

(1) سورة البقرة آية ١٢٥. (2) سورة الأحزاب آية ٥٤.

(3) سورة المائدة آية ٩٠.

فأنزل الله تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾[1]

ويقول عمر بن الخطاب : وافقت ربى .. لما نزلت هذه الآية ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ قلت أنا : فتبارك الله أحسن الخالقين .. فنزلت ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾.[2]

وأكثر رسول الله ﷺ الاستغفار لقوم فقال عمر :

– سواء عليهم ..

فأنزل الله عز وجل ﴿سواء عليهم استغفرت لهم﴾.[3]

ولما استشار رسول الله ﷺ أصحابه فى الخروج إلى بدر أشار الفاروق بالخروج ..

فنزل قوله تعالى : ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾[4].

ولما استشار النبى عليه الصلاة والسلام أصحابه فى قصة الإفك قال عمر ابن الخطاب:

– من زوجكها (يعنى عائشة) يارسول الله؟

قال النبى عليه الصلاة والسلام : الله.

فتساءل الفاروق :

– افتظن أن ربك دلس عليك فيها؟ سبحانك هذا بهتان عظيم.

فنزل قوله تعالى : ﴿سبحانك هذا بهتان عظيم﴾.[5]

وكذلك قصة عمر فى الصيام .. فلما جامع زوجته بعد الانتهاء (كان ذلك محرما فى أول الإسلام) فنزل قوله عز وجل : ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون

---

(١) سورة المؤمنون آية ١٢. (٢) سورة المؤمنون آية ١٤.

(٣) سورة المنافقون آية ٦. (٤) سورة الأنفال آية ٥.

(٥) سورة البقرة آية ١٨٧.

أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾.

ولقى يهودى عمر بن الخطاب فقال له :

- إن جبريل الذى يذكره صاحبكم (يعنى رسول الله ﷺ) عدو لنا ..

فقال الفاروق : من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين .

فنزلت على لسان عمر بن الخطاب.

واختصم رجلان (أحدهما يهودى والآخر منافق) إلى النبى عليه الصلاة والسلام فقضى بينهما فقال الذى قضى عليه (المنافق):

- ردنا إلى عمر بن الخطاب.

فأتيا إليه فقال الرجل (اليهودى) :

- قضى لى رسول الله ﷺ على هذا فقال : ردنا إلى عمر ..

فتساءل عمر بن الخطاب : أكذاك؟

قال الرجل الذى قضى عليه : نعم.

قال عمر بن الخطاب : مكانكما حتى أخرج إليكما ..

ثم خرج مشتملا على سيفه فضرب الرجل (المنافق) الذى قال : ردنا إلى عمر بسيفه فقتله. وأدبر الآخر فقال :

- يارسول الله قتل عمر والله صاحبى ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام :

- ما كنت أظن أن يجترئ عمر علىّ قتل مؤمن.

فأنزل الله تعالى : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾(١) فأهدر دم الرجل المنافق وبرئ عمر بن الخطاب من قتله.

ودخل غلام عمر عليه وكان نائما فقال : اللهم حرم الدخول ..

فنزلت آية الاستئذان : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون﴾(٢)

لقد وافق عمر بن الخطاب ربه فى واحد وعشرين موضعا.

وذات ليلة سأل النبى عليه الصلاة والسلام أبا بكر :

– متى توتر – تصلى صلاة الوتر–؟

قال أبو بكر الصديق : أول الليل بعد العتمة..

ثم نظر إلى عمر وسأله :فأنت ياعمر؟

قال الفاروق : آخر الليل ..

فقال رسول الله ﷺ :

أما أنت يا أبا بكر فأخذت بالوثقى، وأما أنت ياعمر فأخذت بالقوة ..

وذات يوم أقبل أعرابى من أهل البادية على رسول الله ﷺ وهو بين أصحابه فقال الأعرابى فى غلظة لنبى الله :

– أعطنى، فليس المال مالك ولا مال أبيك. فتبسم نبى الرحمة عليه الصلاة والسلام وقال : صدقت إنه مال الله ..

فغضب عمر بن الخطاب وهم أن يبطش بالأعرابى فرده رسول الله ﷺ برفق ومازال على شفتيه بسمته الرقيقة وقال :

– دعه ياعمر إن لصاحب الحق مقالا ..

---

(١) سورة النساء آية ٦٥.

(٢) سورة النور آية ٢٧.

ودخل عمر بن الخطاب مع النبى عليه الصلاة والسلام مسجده فرأى رجلا توضأ فترك موضع الظفر على قدمه فأمره ﷺ أن يعيد الوضوء والصلاة ..

يقول عمر بن الخطاب :

– فرجع الرجل فأعاد الوضوء والصلاة.

وجاء الأسود بن سريع النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

– يارسول الله إنى حمدت الله تعالى بمحامد ومدح وإياك (مدحتك أيضا بعد أن حمدت الله ومدحته).

فقال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى يحب المدح هات ما امتدحت به ربك تعالى.

فجعل الأسود بن سريع ينشده .. فجاء رجل يستأذن آدم (الذى يميل لونه إلى السواد) طوال أعسر أيسر (يعمل بكلتا يديه اليمنى واليسرى) فاستنصت للأسود كما يصنع بالهر (أى أن رسول الله ﷺ ربت عليه كما ربت على الهر فى عطف ورقة) فدخل الرجل فتكلم ساعة ثم خرج ثم أخذ الأسود ينشد النبى عليه الصلاة والسلام .. ثم رجع الرجل بعد فاستنصت النبى ﷺ فتساءل الأسود بن سريع :

– من ذا الذى تستنصتنى له ؟

فقال رسول الله ﷺ : هذا رجل لا يحب الباطل هذا عمر بن الخطاب .

ثم جلس رسول الله ﷺ يحدث أصحابه فقال : أتيت بكفة ميزان فوضعت فيه وجئ بأمتى فوضعت فى الكفة الأخرى فرجحت بأمتى ثم رفعت فجئ بأبى بكر فوضع فى كفة الميزان فرجح بأمتى ثم رفع أبو بكر وجئ بعمر بن الخطاب فوضع فى كفة الميزان فرجح بأمتى ثم رفع الميزان إلى السماء وأنا أنظر.

فهنأ معاذ بن جبل وأبو أمامة أبا بكر وعمر.

ولما نزل قوله تعالى : ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا﴾[1] أرسل رسول الله ﷺ إلى أهل قباء – من الأنصار – فسألهم :

---

(١) سورة التوبة آية ١٠٨.

- ما هذا الطهور الذى أثنى عليكم به؟

فقالوا: يارسول الله ماخرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل فرجه ..

فقال النبى عليه الصلاة والسلام : هو هذا ..

وأتى رسول الله ﷺ الأنصار ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فإذا الأنصار جلوس فتساءل:

- أمؤمنون أنتم؟

فسكت القوم .. ثم أعاد سؤاله .. فقال عمر بن الخطاب :

- يارسول الله إنهم لمؤمنون وأنا منهم ..

فقال عليه الصلاة والسلام : أتؤمنون بالقضاء؟

قالوا : نعم.

قال ﷺ : وتصبرون على البلاء؟

قالوا : نعم .

قال عليه الصلاة والسلام : أتشكرون على الرخاء؟

قالوا : نعم ..

قال ﷺ : مؤمنون ورب الكعبة.

هكذا يكون المؤمن، وكان عمر كل أحواله صبر وشكر ورضى، وكان يحث الناس على أن يكونوا مثله فلا يجزعون لبلية ولا يألمون من قرح ولا يسخطون على ما يصيبهم من محن.

وذات ضحى خرج النبى عليه الصلاة والسلام على أصحابه وهم جلوس فى مسجده فقال :

- بينا أنا نائم رأيت أنى أنزع على حوضى أسقى الناس فأتى أبو بكر فأخذ الدلو من يدى ليروحنى فنزع ذنوبين، وفى بعض نزعه ضعف والله يغفر له، ثم

أخذها عمر فاستحالت بيده غربا (الدلو العظيمة) فلم أر عبقريا من الناس يفرى (فرى الشئ قطعه لإصلاحه) فريه حتى [illegible] العطن والمعاطن : مبارك الإبل عند الماء).

وقال رسول الله ﷺ : إن من عباد الله لأناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله.

قال عمر بن الخطاب : يارسول الله تخبرنا من هم؟

قال ﷺ : هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم .. ولا أموال يتعاطونها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية : ﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[1]

يقول عبد الله بن عباس : قال رسول الله ﷺ : إن الله تعالى باهى (فاخر) ملائكته بالناس يوم عرفة عامة وباهى بعمر بن الخطاب خاصة، وما فى السماء ملك إلا وهو يوقر عمر وما فى الأرض شيطان إلا وهو يفر من عمر.

ويقول أبو بكر الصديق : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما طلعت الشمس على رجل خير من عمر.

ويقول عبد الله بن عمر : قال لى أبو هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول: عمر بن الخطاب سراج أهل الجنة.

وخطب عمر بن الخطاب إلى قوم من قريش بمدينة رسول الله ﷺ عليه وسلم فردوه وخطب المغيرة بن شعبة الثقفى إليهم فزوجوه، وأخبر ابن الخطاب النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

– لقد ردوا رجلا ما فى الأرض خير منه.

---

(١) سورة يونس آية ٦٢.

كان رسـول الله ﷺ من أتباعه السـمع والبصـر والفؤاد، بل كـان نور العـيون التى يبـصـرون بهـا، ونبض القلوب التى تمسك عليـهم الحـياة .. فلمـا انتـقل النبى عليه الصلاة والسـلام إلى الرفيق الأعلى وصك الخبر أذنى عـمر لم يصدق مسمعه فكمـده الحـزن، وعـقـد الهـول لسـانه، وذهب الـدهش بعـقله، ونزل الـنبـأ عليـه كالصـاعـقة .. وأفـاق عـمر على قـول أبى بكر وهو يعلن أن النبى عليـه الصـلاة والسـلام قد مـات. فـهل مـات رسـول الله ﷺ فى صـورة مـفـاجـئة لأصـحـابه؟ لقـد مـرض وأمـر أبا بكر أن يصلى بالناس .. وهل رسـول الله إلا كـسـائر البـشـر؟ لماذا أمسك عمـر سيفه وهدد كل من قـال : إن رسـول الله ﷺ قد مات؟ كـان حزن وهلع عمر أعظم من حزن الناس كلهم ...؟

عمر .. وخليفة رسول الله :

وأبى عــمــر بـن الخطاب إلا أن يكون بـجـوار أبى بكر فى هـذا الجـو الخـانق المشـحـون بالحـزن والأسـى والوحـشـة .. فـتقـدم ابن الخـطاب وبايع أبا بكر خليـفـة لرسـول اللـه ﷺ .. وبايعـه المسلمـون. وكـان الخليـفـة الأول لا يقـوم عـلى أمـر من أمور الخـلافة حـتى يستشـير عـمر بن الخطاب، فقـد كانا مـتلازمين حـتى من كان يريد الوقيعة يسأل الصديق متجاهلا:

– والله ما ندرى أأنت الخليفة أم عمر؟

فيقول أبو بكر الصديق : هـو لو كان شاء.

وواجـه أبو بـكر الفتن والمصـاعب مـنذ الوهلة الأولى فـقـد ارتدت كـثـيـر من القـبائل عن الإسـلام وامتنع كـثيـر من المسلمين عن إخراج الزكـاة، وإن الذى تولى كبـر هذه الفتنة ثلاثة نفر ادعوا النبـوة وهـم : مسيلمـة بن حبيب الكذاب باليمامة، وكـان أظهر أمـره قـبيل وفـاة رسول اللـه ﷺ، ثم طلحة بن خـويلد فى بنى أسـد ثم سجاح. فبعث أبو بكر الجيوش لقمع الفتنة .. وتحقق لخليفة رسـول الله ﷺ ما أراد .. ولما بلغ عمر بن الخطاب مقتل أخيه زيد فى معركة اليمامة قال :

– رحم الله زيدا سبقنى إلى الحسنيين .. أسلم قبلى واستشهد قبلى.

ونظر عمر بن الخطاب إلى ابنه عبد الله وقال :

– ألا هلكت قبل زيد؟ هلك زيد وأنت حى؟ ألا واريت وجهك عنى؟

فقال عبد الله بن عمر : سأل الله الشهادة فأعطيها وجهدت أن تساق إلى فلم أعطها.

عقب معركة اليمامة :

– ولم يكن عمر بن الخطاب قاضيا بين الناس فى عهد أبى بكر فحسب، كان وزير أبى بكر يساعده ويستشيره فيما عرض له من الأمور. فقد جاء عمر إلى الخليفة الأول وقال له:

– إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإنى لأخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن يجمعوه وإنى لأرى أن يجمع القرآن ..

فقال أبو بكر الصديق : كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟

فقال عمر بن الخطاب : هو والله خير..

يقول أبو بكر الصديق : فلم يزل عمر يراجعنى فيه حتى شرح الله لذلك صدرى فرأيت الذى رأى عمر.

وأرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت الأنصارى فجاء وعمر عند خليفة النبى عليه الصلاة والسلام فقال لزيد :

– إنك شاب عاقل ولا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه.

يقول زيد بن ثابت الأنصارى : فوالله لو كلفنى نقل جبل ما كان أثقل على مما أمرنى به من جمع القرآن .

لقد كان يعلم عظم المسئولية الملقاة على عاتقه .. فتساءل :

– كيف تفعلان شيئا لم يفعله النبى عليه الصلاةوالسلام؟

فقال أبو بكر : هو والله خير..

فلم يزل زيد بن ثابت يراجع خليفة رسول الله ﷺ، حتى شرح الله صدر زيد بن ثابت كما شرح من قبل صدر أبى بكر وعمر بن الخطاب.

وتتبع زيد القرآن يجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال.

يقول على بن أبى طالب :

– أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر .. إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين لوحين.

وجاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزارى إلى خليفة رسول الله ﷺ فقالا:

– ياخليفة رسول الله إن عندنا أرضا سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة فإن رأيت أن تقطعناها. فأجابهما أبو بكر وكتب لهما وأشهد القوم وعمر بن الخطاب ليس فيهم فانطلق الأقرع وعيينة إلى عمر ليشهداه فيه. فنظر عمر إلى الكتاب ولما قرأ ما به تفل فيه ومحاه فتذمرا (غضبا) له وقالا له مقالة سيئة فقال ابن الخطاب:

– إن رسول الله ﷺ كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل، إن الله أعز الإسلام. اذهبا فاجهدا على جهدكما لا رعى الله عليكما إن رعيتما.

فأقبل الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن إلى خليفة رسول الله ﷺ وهما يتذمران فقالا :

– لاندرى والله أأنت الخليفة أو عمر؟

فقال الخليفة الأول وقد أدرك مغزى قولهما : لا بل هو لو شاء.

فجاء عمر بن الخطاب وهو مغضب حتى وقف على أبى بكر فقال : أخبرنى عن هذا الذى أقطعتهما .. أرض هى لك خاصة أو للمسلمين عامة؟

فقال أبو بكر : بل للمسلمين عامة .

فتساءل عمر بن الخطاب : فما حملك على أن تخص بها هذين؟

قال خليفة رسول الله ﷺ : استشرت الذين حولى فأشاروا على بذلك وقد قلت لك : إنك أقوى منى على هذا فغلبتنى.

وصية أبي بكر الصديق :

ولما مرض أبو بكر استشار عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان فى استخلاف عمر بن الخطاب فكان هواهما مع أبى بكر فبعث أبو بكر إلى عمر فلما جاء قال له :

– إنى أدعوك إلى أمر متعب لمن وليه، فاتق الله ياعمر بطاعته، وأطعه بتقواه، فإن التقى أمر محفوظ ثم إن الأمر معروض لا يستوجبه إلا من عمل به، فمن أمر بالحق وعمل بالباطل وأمر بالمعروف وعمل بالمنكر يوشك أن تنقطع أمنيته وأن يحبط به عمله. فإن أنت وليت عليهم أمرهم فإن استطعت أن تجف (تخف) يديك من دمائهم وأن تضمر بطنك من أموالهم وأن تكف لسانك عن أعراضهم فافعل ولا قوة إلا بالله.

تلك كانت وصية الخليفة الأول لعمر بن الخطاب.

ولما حضر أبا بكر الموت أوصى :

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا عهد من أبى بكر الصديق عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها، وأول عهده بالآخرة داخلا فيها، حيث يؤمن الكافر، ويتقى الفاجر، ويصدق الكاذب، إنى استخلفت من بعدى عمر بن الخطاب، فإن عدل فذلك ظنى فيه وإن جار وبدل فالخير أردت، ولا أعلم الغيب ﴿وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون﴾[1].

ويعث خليفةرسول الله ﷺ إلى عمر بن الخطاب فدعاه .. ثم قال :

– ياعمر أبغضك مبغض وأحبك محب، وقدما يبغض الخير ويحب الشر..

فقال عمر بن الخطاب : لا حاجة لى فيها.

فقال أبو بكر الصديق: لكن لها بك حاجة، وقد رأيت رسول الله ﷺ وصحبته، ورأيت أثرته أنفسنا على نفسه حتى أن كنا لنهدى لأهله فضل ما يأتينا

---

(١) سورة الشعراء آية ٢٢٧.

منه، ورأيتني وصحبتى وإنما اتبعت أثر من كان قبلى والله مانمت فحلمت، ولا شهدت فتوهمت، وإنى لعلى طريق ما زغت. تعلم ياعمر أن لله حقا فى الليل لا يقبله بالنهار وحقا بالنهار لا يقبله بالليل، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق، وحق لميزان أن يثقل لا يكون فيه إلا الحق، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل، وحق لميزان أن يخف لا يكون فيه إلا الباطل. إن أول ما أحذرك نفسك، وأحذرك الناس فإنهم قد طمحت أبصارهم وانتفخت أهواؤهم، وإن لهم الخيرة عن زلة تكون فإياه تكونه فإنهم لن يزالوا خائفين لك فرقين منك ما خفت الله وفرقته. وهذه وصيتى فلا يك غائب أحب إليك من الموت، وهو آتيك. وإن أنت ضيعت وصيتى فلا يك غائب أبغض إليك من الموت ولست بمعجزه.

أمير المؤمنين :

ومات أبو بكر .. وبايع الناس عمر بن الخطاب فقال عبد الله بن مسعود :

– أفرس الناس ثلاثة : أبو بكر حين استخلف عمر، وصاحبة موسى حين قالت استأجره، والعزيز حين تفرس يوسف فقال لامرأته : أكرمى مثواه.

وصعد عمر بن الخطاب على منبر رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال مستهلا خلافته:

بلغنى أن الناس هابوا شدتى، وخافوا غلظتى وقالوا : قد كان عمر يشتد ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ثم اشتد علينا وأبو بكر والينا دونه، فكيف وقد صارت الأمور إليه؟ ألا من قال هذا فقد صدق. فإنى كنت مع رسول الله ﷺ عونه وخادمه وكان عليه الصلاة والسلام من لا يبلغ أحد صفته من اللين والرحمة، وكان كما قال الله تعالى : ﴿بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ فكنت بين يديه كالسيف المسلول إلا أن يغمدنى أو ينهانى عن أمر فأكف، وإلا أقدمت على الناس لمكان لينه فلم أزل مع رسول الله على ذلك حتى توفاه الله وهو عنى راض، والحمد لله على ذلك كثيرا، وأنا به أسعد. ثم قمت ذلك المقام مع أبى بكر خليفة رسول الله ﷺ بعده، وكان قد علمتم فى كرمه ودعته (الدعة : الخفض) ولينه، فكنت خادمه كالسيف، عونه بين يديه، أخلط شدتى بلينه، إلا أن يتقدم إلى فأكف وإلا أقدمت. فلم أزل على ذلك

حتى توفاه الله وهو عنى راض والحمد لله على ذلك كثيرا وأنا به أسعد، ثم صار أمركم إلى اليوم، وأنا أعلم فسيقول قائل : كان يشتد علينا والأمر إلى غيره، فكيف به إذا صار إليه ؟ واعلموا أنكم لا تسألون عنى أحدا قد عرفتمونى وجربتمونى وعرفتم من سنة نبيكم ما عرفت وما أصبحت نادما على شئ أكون أحب أن أسأل رسول الله ﷺ عنه إلا وقد سألته، فاعلموا أن شدتى التى كنتم ترون ازدادت أضعافا إذا صار الأمر إلىّ على الظالم والمعتدى والأخذ للمسلمين لضعيفهم من قويهم، وإنى بعد شدتى تلك واضع خدى بالأرض لأهل العفاف والكف منكم والتسليم، وإنى لا آبى (امتنع) إن كان بينى وبين أحد منكم شئ من أحكامكم أن أمشى معه إلى من أحببتم منكم فلينظر فيما بينى وبينه أحد منكم. ولكم على أيها الناس خصال أذكرها لكم فخذونى بها : لكم على ألا أجتبى شيئا من خراجكم وما أفاء الله عليكم إلا من وجهه، ولكم على إذا وقع فى يدى ألا يخرج منى إلا فى حقه، ولكم على أن أزيد عطاياكم وأرزاقكم إن شاء الله تعالى، وأسد ثغوركم، ولكن على ألا ألقيكم فى المهالك، وإذا غبتم فى البعوث فأنا أبو العيال حتى ترجعوا إليهم. فاتقوا الله عباد الله وأعينونى على أنفسكم بكفها عنى، وأعينونى على نفسى بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وإحضارى النصيحة فيما ولانى الله من أمركم.

ثم نزل .. ثم قال : كان أبو بكر يقال له خليفة رسول الله ﷺ فكيف يقال لى خليفة خليفة رسول الله يطول هذا؟

فقال له المغيرة بن شعبة الثقفى :

– أنت أميرنا ونحن المؤمنون فأنت أمير المؤمنين.

قال عمر بن الخطاب : فذاك إذن.

فكان عمر بن الخطاب أول من سمى أمير المؤمنين. وكانت خلافته فى جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة.

وذهب عمر بن الخطاب إلى دار أبى بكر يسأل زوجته أسماء بنت عميس : كيف كان أبو بكر يعبد ربه حين يخلو بنفسه؟

فقالت أسماء بنت عميس : كان إذا جاء وقت السحر قام فتوضأ وصلى ... ثم ظل يصلى .. يتلو القرآن ويبكى ويسجد ويبكى ويدعو ويبكى. وكنت آنئذ أشم فى البيت رائحة كبد تشوى.

فبكى أمير المؤمنين عمر وقال : ألا لابن الخطاب مثل هذا؟

لقد كان أبو بكر الصديق ربانيا فى كل مشاعره وسلوكه .. وكان عمر بن الخطاب يعبد الله كأنه يراه.

ثم قام عمر فقال : أيها الناس .. أما بعد فقد ابتليت بكم وابتليتم بى، وخلفت فيكم بعد صاحبى، فمن كان بحضرتنا باشرناه بأنفسنا ومهما غاب عنا ولينا أهل القوة والأمانة فمن يحسن نزده حسنا ومن يسئ نعاقبه ويغفر الله لنا ولكم.

لقد كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لا يخاف فى الله لومة لائم، وكيف يخشى إلا الله وهو صاحب الفطرة السليمة التى ترعرعت فى كنف النبوة فوجدت مجالا صالحا فشرح الله صدره لمحاسن الأمور. وكان أول قرار اتخذه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب هو عزل قادة الجيوش الذين طارت شهرتم فى الأمصار مثل خالد بن الوليد فقال عمر :

– لا يلى لى عملا أبدا..

وكتب أمير المؤمنين عمر إلى أبى عبيدة الجراح :

إن أكذب خالد نفسه فهو الأمير على ما كان عليه، وإن لم يكذب نفسه فأنت الأمير على ماهو عليه، وانزع عمامته عن رأسه وقاسمه ماله.

وأبى خالد بن الوليد أن يكذب نفسه .. فأمر أبو عبيدة بن الجراح فنزع عمامته وقاسمه ماله. كما عزل [illegible] بن حارثة الشيبانى وسعد بن أبى وقاص .. وقد علل أمير المؤمنين عمر بن [illegible] بأنه خاف أن يفتن الناس بهم فيظنوا أنهم ينتصرون بهم لا بالله.

وفتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق ما بين صلح وعنوة كما فتح حمص وبعلبك صلحا، والبصرة والأبلة كلاهما عنوة.

وجمع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الناس على صلاة التراويح فكان أول من سن قيام شهر رمضان جماعة، فقد أمر أبو حفص (كناه بهذا الاسم رسول الله ﷺ) أبا خيثمة وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل أن يصلوا بالناس فى شهر رمضان. كما أمر أن تضاء المساجد فى رمضان فكان أول من نورها فى رمضان.

وخرج ابن الخطاب يوما من المسجد فوجد معاذ بن جبل عند قبر رسول الله ﷺ يبكى فتساء ل أمير المؤمنين عمر :

– ما يبكيك؟

قال معاذ بن جبل : حديث سمعته من رسول الله ﷺ ..

فسأله الفاروق عن هذا الحديث فقال معاذ:

قال النبى عليه الصلاة والسلام : اليسير من الريا شرك – شرك فى العمل لا فى الاعتقاد ويسمى الشرك الأصغر وهو محبط للعمل – ومن عادى أولياء الله – وهم الذين آمنوا وكانوا يتقون – فقد بارز الله بالمحاربة. إن الله يحب الأبرار الأتقياء الأخفياء – الذين يجتهدون فى إخفاء أعمالهم بعيدا عن الرياء وحب الظهور – الذين إن غابوا لم يفتقدوا – لا يسأل عنهم أحد لعدم شهرتهم – وإن حضروا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى – لأن الله نور بصائرهم وانكشفت لهم مواطن الهدى – يخرجون من كل غبراء مظلمة – ينجون ويتخلصون من كل ضلالة مظلمة.

ولو شاء أمير المؤمنين عمر أن يعيش فى نعيم مباح ويظفر بالمناعم المباحة لفعل ولكن عظمة نفسه واستقامة نهجه حملته على أن يلتزم الكفاف ويختار الشظف ..

كان عمر اللهم جالسا إلى طعامه يوما فدخل عليه حفص بن أبى العاص فرأى القديد اليابس الذى يأكل منه أمير المؤمنين عمر، فلما دعاه إلى الطعام اعتذر شاكرا فهل يجشم معدته مشقة هضم قديد يابس؟ وأدرك الفاروق سر عزوفه عن طعامه فتساءل : ما يمنعك عن طعامنا؟

فقال حفص بن أبى العاص : إنه طعام جشب غليظ وإنى راجع إلى بيتى فأصيب طعاما لينا قد صنع لى .

فقال عمر بن الخطاب : تراني عاجزا عن أن آمر بصغار المعزى فيلقى عنها شعرها وآمر برقاق البر فيخبز خبزا وآمر بصاع من زبيب فيلقى فى سمن حتى إذا صار مثل عين الحجل صب عليه الماء فيصبح كأنه دم غزال فآكل هذا، وأشرب هذا؟؟

فقال حفص وهو يضحك : إنك بطيب الطعام لخبير ..

فقال عمر بن الخطاب : والذى نفسى بيده لولا أن تنقص حسناتى لشاركتكم فى لين عيشكم، ولو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأرفهكم عيشا، ولنحن أعلم بطيب الطعام من كثير من آكليه، ولكننا ندعه ليوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها .. وإنى لأستبقى طيباتى لأنى سمعت الله تعالى يقول عن أقوام ﴿أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾(١)

لقد منعه حياؤه من الله عز وجل عن كل ترف ونعيم فلم يأكل إلا تقوتا ولم يتناول من الطعام إلا كفافا .. على الرغم من أنه أمير المؤمنين.

لماذا سمى الفاروق؟

سأل عبد الله بن عباس أمير المؤمنين عمر :

- لأى شئ سميت الفاروق ؟

قال عمر بن الخطاب : أسلم حمزة قبلى بثلاثة أيام، فخرجت إلى المسجد فأسرع أبو جهل إلى النبى عليه الصلاة والسلام يسبه، فأخبر حمزة فأخذ قوسه وجاء إلى المسجد إلى حلقة قريش التى فيها أبو جهل فاتكأ على قوسه مقابل أبى جهل فنظر إليه فعرف أبو جهل الشر فى وجهه فقال : مالك يا أبا عمارة؟ فرفع القوس فضرب بها أخدعه فقطعه، فسالت الدماء فأصلحت ذلك قريش مخافة الشر .. ورسول الله ﷺ مختف فى دار الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى، فانطلق حمزة فأسلم فخرجت بعده بثلاثة أيام فإذا فلان بن فلان المخزومى فقلت : أراغب عن دين آبائك، واتبعت دين محمد؟ فقال : إن فعلت فقد فعله من هو أعظم

---

(١) سورة الأحقاف آية ٢٠.

عليك حقا منى، قلت : ومن هو؟ قال أختك وختنك. فانطلقت فوجدت الباب مغلقا وسمعت همهمة ففتح الباب فدخلت فقلت : ما هذا الذى أسمع عندكم؟ قالوا : ماسمعت شيئا. فمازال الكلام بيننا حتى أخذت برأس ختنى فضربته ضربة فأدميته، فقامت إلى أختى فأخذت برأسى وقالت: قد كان ذلك على رغم أنفك. فاستحييت حين رأيت الدماء فجلست وقلت : أرونى هذا الكتاب، فقالت أختى : إنه لا يمسه إلا المطهرون، فإن كنت صادقا فقم واغتسل، فقمت فاغتسلت وجئت فجلست فأخرجوا إلى صحيفة فيها ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فقلت : أسماء طيبة طاهرة ﴿طه * ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾[1] إلى قوله تعالى ﴿له الأسماء الحسنى﴾ فتعظمت فى صدرى وقلت : من هذا فرّت قريش ؟ فأسلمت . وقلت أين رسول الله ﷺ؟ قالت : فإنه فى دار الأرقم ، فأتيت الدار فضربت الباب فاستجمع القوم فقال حمزة : مالكم ؟ قالوا : عمر: قال: وإن كان عمر افتحوا له الباب، فإن أقبل منه وإن أدبر قتلناه، فسمع ذلك رسول اللّه ﷺ فخرج فتشهد عمر فكبر أهل الدار تكبيرة سمعها أهل مكة. قلت : يارسول الله ألسنا على الحق؟ قال : بلى، قلت : ففيم الإخفاء؟ فخرجنا صفين أنا فى أحدهما وحمزة فى الآخر، حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش إلى وإلى حمزة فأصابتهم كآبة شديدة لم يصبهم مثلها، فسمانى رسول الله ﷺ الفاروق يومئذ لأنى فرقت بين الحق والباطل.

وقدم أبو هريرة على مدينة رسول الله ﷺ من عند أبى موسى الأشعرى عامله على البصرة فقال له أمير المؤمنين عمر :

- بماذا قدمت ؟

قال أبو هريرة : قدمت بثمانمائة ألف درهم ..

فقال أمير المؤمنين عمر : أطيب ويلك؟

فقال أبو هريرة : نعم ..

فبات عمر بن الخطاب ليله أرقا (ذهب عنه النوم فى الليل) حتى إذا نودى بصلاة الصبح قالت له امرأته:

---

(١) سورة طه أول السورة.

- ما نمت الليلة ..

قال عمر بن الخطاب : كيف ينام عمر بن الخطاب وقد جاء الناس ما لم يكن يأتيهم مثله مذ كان الإسلام فما يؤمن عمر لوهلك وذلك المال عنده فلم يضعه فى حقه.

كان يعيش قلقا مؤرقا لاينام إلا غبا ولا يأكل إلا تقوتا، وليس يلبس إلا خشنا، فرق أهل بيته لحاله وقالوا :

- ارفق بنفسك ونم قليلا ..

فقال عمر : إذا نمت الليل أضعت نفسى وإذا نمت النهار ضيعت الرعية ..

فلما صلى الصبح اجتمع إليه نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال لهم :

إنه قد جاء الناس الليلة ما لم يأتهم مثله مذ كان الإسلام وقد رأيت رأيا فأشيروا علىّ.

قالوا : ماذا ترى يا أمير المؤمنين؟

قال عمر بن الخطاب : أكيل للناس بالمكيال ..

فقالوا : لا تفعل يا أمير المؤمنين، الناس يدخلون فى الإسلام ويكثر المال، ولكن أعطهم على كتاب فكلّما كثر الناس وكثر المال أعطيتهم عليه ..

فتساءل عمر بن الخطاب :

متى ؟

فقال على بن أبى طالب : تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من مال ولا تمسك منه شيئا ..

وقال عثمان بن عفان : أرى مالا كثيرا يسع الناس وإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ خشيت أن يلتبس الأمر .

قال الوليد بن هشام بن المغيرة: يا أمير المؤمنين قد جئت الشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا فدوّن ديوانا وجنّد جنودا .

فـراقت فكرة تدوين الـديوان للعطايا لـعـمـر .. فـدعـا عـقـيل بـن أبى طالب ومخرمة بن نوفل وجبير بن مطعم وكانوا من نساب العرب فقال لهم عمر :

– اكتبوا الناس على منازلهم..

فكتبوا فـبدءوا ببنى هاشم، ثم أتبعـوهـم أبا بكر وقومه ثم عمـر وقومه على الخلافة فلما نظر عمر فيه قال :

– ابدءوا بقـرابة النبى عليه الـصلاة والسـلام الأقرب فـالأقرب حـتى تضعـوا عمر حيث وضعه الله.

وكتب أمير المؤمنين عمر إلى حذيفة بن اليمان :

– أن أعط الناس أعطيتهم وأرزاقهم.

فكتب حذيفة إليه : إنا قد فعلنا ويبقى شئ كثير.

فكتب إليه عمـر بن الخطاب : إنه فيؤهـم الذى أفاء الله عليـهم ليس هـو لعمر ولا لآل عمـر اقسمه بينهم.

يقـول عـبـد الله بن مـسـعـود : إن إسـلام عـمـر بن الخطاب كان فـتـحـا وإن هـجرته كانت نصرا وإن إمارته كانت رحمة.

لقد كان الفاروق يحاسب نفسه ويخشى الله حق تقاته وكان يقول :

– أيها الـنـاس زنوا أنفسكم قـبل أن توزنوا وحاسبـوها قبل أن تحـاسبـوا فإنه أهون عليـكم فى الـحـسـاب غـدا أن تحـاسـبـوا أنفـسكم وتزينـوا للعـرض الأكـبـر ﴿يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية﴾. [1]

وفى عام ستة عشـر فتـحت الأهـواز والمدائن التى هـى مستقر ملك كسرى .. فبعث سـعـد بن أبى وقاص إلى المدينة بسـاط كسرى ولبس كسرى فنظر عمر بن الخطاب إلى ذلك وقال :

– إن قوما أدوا هذا لأمناء ..

فقال على بن أبى طالب :

– إنك عففت فعفت رعيتك ولو رتعت لرتعت.

---

(١) سورة الحاقة آية ١٨.

ثم نظر أمير المؤمنين عمر إلى ملابس كسرى وتاجه وهو مكلل بالجواهر النفيسة .. ثم قبض على مقبض سيف كسرى وقال :

– الحمد لله الذى جعل سيف كسرى فيما يضره ولا ينفعه.

ووزع أمير المؤمنين عمر الأموال والغنائم على المسلمين ..

يقول عمر بن الخطاب : قال رسول الله ﷺ : إذا التقى الرجلان المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه فإن أحبهما إلى الله أحسنهما بشرا لصاحبه، فإذا تصافحا نزلت عليهما مائة رحمة وللبادئ منهما تسعون وللمصافح عشرة .

وكان أمير المؤمنين عمر إذا ذهب إلى السوق قال :

– قال رسول الله ﷺ : الذهب بالذهب ربا إلا هاء والبر بالبر ربا إلا هاء وهاء والشعير بالشعير ربا إلا هاء والتمر بالتمر ربا إلا هاء هاء.

ورجع عمر إلى داره ذات ضحى فوجد رقعة من سجاد صغيرة لا تزيد عن متر وبعض متر فسأل امرأته عاتكة :

– أنىّ لك هذه؟

قال زوجة أمير المؤمنين عمر :

– أهداها إلينا أبو موسى الأشعرى.

فقال عمر فى عجب : أبو موسى ؟ إيتونى به.

وأقبل عبد الله بن قيس تسبقه مخاوفه فلما رأى ظلال الغضب تكسو وجه عمر قال :

– لا تعجل على يا أمير المؤمنين ..

فرمى أمير المؤمنين عمر السجادة نحو أبى موسى الأشعرى وقال :

– ما يحملك على أن تهدى إلينا؟ خذها فلا حاجة لنا فيها.

وقام أمير المؤمنين عمر خطيبا فتساءل :

ماذا تقولون لو ملت برأسى هكذا ...

فقال رجل : إذن نقول بالسيف هكذا..

فقال عمر بن الخطاب : إياى تعنى بقولك؟

فقال الرجل فى إصرار : إياك أعنى بقولى .

فقال عمر فى ارتياح : يرحمك الله ... والحمد لله الذى جعل فيكم من يقوم عوجى.

لقد كان عمر بن الخطاب يشتد ثم يلين للناس يحركه خوفه وحرصه الشديد على أن يلقى العزيز الجبار صادق الحجة .. قال لعبد الرحمن بن عوف ذات ليلة :

– ياعبد الرحمن لقد لنت للناس حتى خشيت الله فى اللين، ثم اشتددت حتى خشيت الله فى الشدة.

وأيم الله لأنا أشد منهم فرقا وخوفا .. فأين المخرج؟

ثم بكى الفاروق . فقال عبد الرحمن بن عوف :

– أف لهم من بعدك .

لقد كان عمر يسمع أصحاب رسول الله ﷺ يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر فلم يغضب بل كان يقول لهم:

– رحم الله امرءا أهدى إلى عيوبى.

وعلى الرغم من غلظته وشدته فإنه كان يسير فى طرقات مدينة رسول الله ﷺ فإذا لقى صبيا أخذ بيده وقال له وعيناه تفيضان من الدمع :

– ادع لى يابنى فإنك لم تذنب بعد.

أى إنسان يخشى الله مثل عمر؟ لقد كان إذا استشعر أدنى تقصير صاح كالطفل الذى فقد أمه فى زحام السوق :

– ياليت أم عمر لم تلد عمر.

وكان أمير المؤمنين عمر يقول :

– أكثروا ذكر النار فإن حرها شديد، وإن قعرها بعيد، وإن مقامها حديد.

وقدم كعب الأحبار– كان من أحبار اليهود وأسلم – على مجلس أمير المؤمنين عمر فقال له:

– حدثني عن الموت .

فقال كعب الأحبار : كأنه غصن شوك أدخل في جوف رجل فأخذت كل شوكة بعرق ثم أخذها رجل شديد الجذب فقطع منها ما قطع وأبقى منها ما بقي..

كان يخشى لقاء الله عز وجل، وماذا يقول له حين يقف بين يديه؟ لذلك كان لا يكف عن العس في شوارع المدينة ليلا ليتفقد أحوال الرعية. . فقد قدم المدينة بعض التجار في إحدى الأمسيات وخيموا عند مشارفها فاصطحب أبو حفص عبد الرحمن بن عوف ليتفقد أمر القافلة، وكان الليل قد تصرم وتنفس الهزيع الأخير منه. وجلس أمير المؤمنين وصاحبه على مقربة من القافلة .. ثم قال عمر لعبد الرحمن:

– فلنمض بقية الليل هنا نحرس ضيوفنا .

وبينما هما جالسان إذ سمع صوت بكاء صبي فانتبه أمير المؤمنين وصمت. وانتظر عمر أن يكف الصبي عن بكائه ولكنه لم يفعل بل تمادى فيه ... فانطلق نحو صوت الصبي فوجد أمه تنهنهه فنهرها الفاروق وقال :

– اتقي الله وأحسني إلى صبيك.

ثم رجع عمر بن الخطاب إلى مكانه يحرس القافلة. ولكن بعد قليل عاود الصبي البكاء فأسرع عمر نحوه ونادى أمه وقال لها :

– قلت لك اتقي الله وأحسني إلى صبيك.

ثم عاد إلى مجلسه بجانب عبد الرحمن بن عوف .. بيد أنه ما كاد يستقر حتى زلزله مرة أخرى بكاء الصبي فذهب إلى أمه وقال لها :

– ويحك إني لأراك أم سوء. ما لصبيك لا يقر له قرار؟

فقالت المرأة وهى لا تعرف من تخاطب :

– ياعبد الله قد أضجرتنى .. إنى أحمله على الفطام فيأبى ..

فتساءل أمير المؤمنين عمر : ولم تحملينه على الفطام؟

قالت المرأة : لأن عمر لا يفرض إلا للفطيم ..

ارتجف جسد عمر وكأنما أصابته حمى فقال :

– وكم له من العمر؟

قالت الأم : بضعة أشهر ..

قال أمير المؤمنين عمر : ويحك .. لا تعجليه .

وصلى عمر بالناس الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة البكاء فلما انتهى من صلاته قال :

– يا بؤسا لعمر .. كم قتل من أولاد المسلمين؟

ثم أمر مناديا ينادى فى المدينة : لا تعجلوا صبيانكم عن الفطام فإنا نفرض من بيت المال لكل مولود فى الإسلام.

ثم كتب الفاروق إلى جميع ولاته بهذا فى الأمصار.

فتح بيت المقدس :

وكتب أبو عبيدة بن الجراح إلى أهل إيليا (بيت المقدس) يدعوهم إلى الإسلام أو يبذلون الجزية أو يؤذنون بحرب، فأبوا أن يجيبوا إلى ما دعاهم إليه فركب إليهم فى جنوده، واستخلف على دمشق سعيد بن زيد بن عمرو بن نوفل.. ثم حاصر أبو عبيدة بيت المقدس وضيق عليهم حتى أجابوا إلى الصلح بشرط أن يقدم إليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .. فكتب أبو عبيدة إليه بذلك فاستشار الفاروق الناس فى ذلك فأشار ذو النورين بأن لا يركب إليهم ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم، وأشار على بن أبى طالب بالسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين فى حصارهم بينهم.. فهوى أمير المؤمنين عمر ما قال على ولم يهو ما قال عثمان بن عفان.

استخلف أمير المؤمنين عمر علي بن أبي طالب على مدينة رسول الله ﷺ وركب على فرس ليسرع السير إلى الشام وسار بالجيوش حتى قدم الجابية فنزل بها فقال :

أيها الناس أصلحوا سرائركم تصلح علانيتكم، واعملوا لآخرتكم تكفوا أمر دنياكم واعلموا أن رجلا ليس بينه وبين آدم أب حي ولا بينه وبين الله هوادة فمن أراد لحب (طريق) وجه الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون أحدكم بامرأة فإن الشيطان ثالثهما ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن.

وصالح أمير المؤمنين عمر أهل الجابية .. ثم سار الفاروق عن طريق إيلياء على جمل أورق تلوح صلعته للشمس ليس عليه قلنسوة ولا عمامة تصطفق رجلاه بين شعبتي الرحل بلا ركاب، وطاؤه كساء أنبجاني ذو صوف هو وطاؤه إذا ركب وفراشه إذا نزل، حقيبته نمرة أو شملة محشوة ليفا هي حقيبته إذا ركب ووسادته إذا نزل وعليه قميص من كرابيس قد رسم وتخرق جنبه.

وجئ لأمير المؤمنين عمر بطعام طيب مختلف ألوانه فلم يمد يده نحوه ولكنه نظر إليه وقال :

– كل هذا لنا، وقد مات إخواننا فقراء لا يشبعون من خبز الشعير؟

ثم أشار بيده فرفع الطعام وقال :

– ادعوا إليّ رأس القوم ..

فدعوا إليه الجلوس فقال أمير المؤمنين عمر :

– اغسلوا قميصي وخيطوه وأعيروني ثوبا أو قميصا ..

فأتى بقميص كتان فتفرسه عمر وقال : ماهذا؟

قالوا : كتان.

فتساءل الفاروق : وما الكتان؟

فأخبروه فنزع قميصه فغسل ورقع وأتى به فنزع قميصهم ولبس قميصه.

فقال الجلوس لعمر : أنت ملك العرب وهذه بلاد لا تصلح بها الإبل فلو لبست شيئا غير هذا وركبت برذونا لكان ذلك أعظم فى أعين الروم.

فقال عمر بن الخطاب : نحن قوم أعزنا الله بالإسلام فلا نطلب بغير الله بديلا.

وأتى ببرذون فطرح عليه قطيفة بلا سرج ولا رحل فركبه فجعل يهملج (الهملجة : حسن سير الدابة فى سرعة وبخترة) فصاح عمر :

– احبسوا احبسوا ما كنت أرى الناس يركبون الشيطان قبل هذا ...

ثم جعل يضرب وجهه ويقول : لا علَّم الله من علَّمك هذا من الخيلاء.

ثم لم يركب برذونا قبله ولا بعده .. وأتى بجمله فركبه..

ولقى أمير المؤمنين عمر رجلا من يهود فقال :

– السلام عليك يا فاروق .. أنت صاحب إيلياء .. لا والله لا ترجع حتى يفتح الله عليك بيت المقدس.

وتعرضت له مخاضة فنزل عمر بن الخطاب عن جمله ونزع موقيه فأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره فقال أبو عبيدة بن الجراح :

– قد صنعت اليوم صنيعا عظيما عند أهل الأرض. صنعت كذا وكذا.

فصك عمر بن الخطاب صدره وقال :

– أو لو غيرك يقولها يا أبا عبيدة؟ إنكم كنتم أذل الناس وأقل الناس، فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العزة بغيره يذلكم الله.

وصالح أمير المؤمنين عمر نصارى بيت المقدس:

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان. أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها. إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من حيزهم ولا من طيبهم ولا من شئ من أموالهم ولا يكرهون على دينهم.

ولا يضر أحد منهم ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوص فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم. ومن كان بها من أهل الأرض قبل مقتل فلان فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم ومن شاء رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شئ حتى يحصد حصادهم. وعلى مافى هذا الكتاب عهد الله وذمة رسوله، وذمة الخلفاء وذمة المؤمنين، إذا أعطوا الذى عليهم من الجزية. وشهد على ذلك خالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف ومعاوية بن أبى سفيان. وارتفع صوت أمير المؤمنين عمر :

– لبيك اللهم لبيك. لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك.

فلبى المسلمون وراءه.

ودخل عمر بن الخطاب المسجد الأقصى من الباب الذى دخل منه النبى عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء .

ثم قال : ارقبوا لى كعبا ..

ثم قصد أمير المؤمنين عمر المحراب.. محراب داود عليه السلام، وكان ذلك ليلا فصلى فيه. ولم يلبث أن طلع الفجر فأمر المؤذن بالإقامة. فتقدم فصلى بالناس، وقرأ بهم سورة ص وسجد فيها. ثم قرأ بهم فى الثانية صدر بنى إسرائيل (سورة الإسراء) ثم ركع .. ثم انصرف.

ثم سأل كعبا : أين ترى أن نجعل المصلى؟

قال كعب : إلى الصخرة ..

فقال الفاروق : ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعك نعليك..

فقال كعب : أحببت أن أباشره بقدمى ..

فقال ابن الخطاب : قد رأيتك .. بل نجعل قبلته صدره.

ثم قام من مصلاه إلى كناسة دفنت بها الروم بيت المقدس فى زمان بنى إسرائيل. فلما صار إليهم أبرزوا بعضها وتركو سائرها .. قال عمر بن الخطاب:

– يا أيها الناس اصنعوا كما أصنع.

وجثا أبو حفص ثم نقل التراب عن الصخرة فى طرف ردائه .. ونقل المسلمون معه ذلك ... واستعمل أمير المؤمنين عمر علقمة بن محرز على إيلياء (بيت المقدس) .. ثم رجع الفاروق إلى مدينة رسول الله ﷺ .

يقول عمر بن الخطاب : سمعت رسول الله ﷺ يقول: من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا فى الجنة.

فسأل رجل أمير المؤمنين عمر :

– يا أبا حفص هل نزخرفها؟

فقال أمير المؤمنين عمر : قال رسول اللّه ﷺ : ماساء عمل قوم قط إلا زخرفوا مساجدهم.

ثم أردف :

– قال رسول اللّه ﷺ : من صلى فى مسجد جماعة أربعين ليلة لا تفوته الركعة الأولى من صلاة العشاء كتب الله له بها عتقا من النار .

وسئل ابن الخطاب : ماذا نقول بعد الوضوء؟

فقال أمير المؤمنين عمر : قال رسول الله ﷺ : ما من مسلم يتوضأ فيحسن الوضوء ثم يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء.

وأراد أمير المؤمنين عمر أن يكتب التاريخ، فأشار عليه على بن أبى طالب أن يكتبه من الهجرة فوافق عمر بن الخطاب.

وذات يوم قدم على أمير المؤمنين جماعة من الناس نازحين فسألهم عما صادفهم من أخبار الناس فى البلاد التى مروا بها. فقالوا :

– أما بلد كذا فإنهم يرهبون أمير المؤمنين ويخافون بأسه، وأما بلد كذا فإنهم جمعوا أموالا كثيرة تنوء بها السفن وهم في الطريق بها إليك، وأما بلد كذا فإن بها قوما صالحين يدعون الله لك ويقولون : اللهم اغفر لعمر وارفع درجته.

فقال عمر بن الخطاب : أما من خافني فلى أريد بعمر الخير مما خيف منه، وأما الأموال التى تنوء بها السفن فلبيت مال المسلمين ليس لعمر ولا لآل عمر شيء، وأما الدعاء الذى سمعتم بظهر الغيب فذلك ما أرجوه.

لم يكن عمر يريد مالا ولا زينة ولا زخرفا ولا سلطانا ولكن كان يبغى مغفرة من ربه ورضوانا.

عمر .. والمعارضة :

ولم يكن الفاروق يخاف نقدا ولا معارضة بل كان يتخذهما مشعلا يستضئ به سبيل أمره..

كان أمير المؤمنين يخطب يوما فقال :

– لا تزيدوا مهور النساء على أربعين أوقية فمن زاد ألقيت الزيادة فى بيت المال.

فقامت امرأة من بين صفوف النساء وقالت :

ما ذاك لك يا أمير المؤمنين.

فسألها أبو حفص : ولم ؟

قالت المرأة : لأن الله تعالى يقول : ﴿وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا﴾؟[1] فلم يضجر أمير المؤمنين عمر حين جاءته المعارضة لافحة ولم يضق بها بل تهلل وجهه وقال :

– أصابت امرأة وأخطأ عمر.

ولم يمنع عمر بن الخطاب أحدا أن يبدى رأيه فى شجاعة .. فذات يوم تحدث الفاروق مع رجل وتمسك هذا الرجل برأيه وقال لأمير المؤمنين :

---

(١) سورة النساء آية ٢٠.

– اتق اللّه ياعمر ..

فسكت أبو حفص ولكن الرجل عاد فكررها ولم يتكلم عمر بن الخطاب فزجر الرجل أحد الجالسين وقال له :

– صه فقد أكثرت على أمير المؤمنين ..

وهنا تكلم الفاروق وقال لصاحبه :

– دعه فلا خير فيكم إذا لم تقولوها. ولا خير فينا إذا لم نسمعها.

لقد قال الرجل ما رآه حقا ورأى أمير المؤمنين (الحاكم) أنه من الواجب أن يسمع منه ويصغى إليه فكانت الشجاعة والعدالة.

وكان أمير المؤمنين يستشير أكابر الصحابة ولم يحرم أحدا من إبداء رأيه ومجادلته ومعارضته، فقد كان يفرح بالكلمة الجريئة المحقة .. فذات يوم صعد المنبر ليحدث المسلمين فى أمر خطير فبدأ خطبته بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

– اسمعوا يرحمكم اللّه.

ولكن سليمان الفارسى وقف وقال : والله لا نسمع .. والله لا نسمع.

فنظر إليه الفاروق وتساءل :ولم يا سلمان؟

قال سلمان الفارسى : ميزت نفسك علينا فى الدنيا.

فقال عمر بن الخطاب : كيف؟

قال سلمان الفارسى : أعطيت كلا منا بردة واحدة وأخذت أنت بردتين .

ففرح عمر ووثبت عيناه بين صفوف الناس ينبش عن ابنه عبد الله ثم تساءل :

– أين عبد اللّه بن عمر؟

فأجاب عبد الله : أنا يا أمير المؤمنين..

فقال عمر للناس وسلمان :

– تعلمون أنى رجل طوال، ولقد جاءت بردتى قصيرة فأعطانى عبد الله بردته فأطلت بها بردتى.

فامتلأت عينا سلمان بدموع الغبطة والثقة وقال فى صدق وفرح :

– الحمد لله .. والآن قل نسمع ونطع يا أمير المؤمنين.

فهل بلغ من حرية المعارضة أن يحسبوا للحاكم عدد أثوابه وملابسه .. ويحاسبوه بهذه اللهجة الجريئة الصارمة على أعين الناس؟

وقد كانت هناك اختلافات فى بعض المسائل الفقهية بين ابن الخطاب وعلى ابن أبى طالب .. فقد أرسل أمير المؤمنين عمر إلى امرأة مغيبة – زوجها غائب – كان يدخل عليها فأنكر ذلك وقيل لها :

– أجيبى عمر ..

فقالت المرأة : يا ويلاه مالى ولعمر؟

وبينما هى فى الطريق إلى أمير المؤمنين عمر دخلت دارا فألقت ولدها .. فصاح الصبى صيحتين .. ثم مات. فاستشار عمر بن الخطاب أصحاب رسول الله ﷺ فقال بعضهم :

– ليس عليك شئ إنما أنت وال مؤدب.

وصمت أبو الحسن فأقبل عليه الفاروق وسأله :

– ما تقول ؟

قال على بن أبى طالب : إن كانوا قالوا برأيهم فقد أخطأ رأيهم وإن كانوا قالوا فى هواك فلم ينصحوا لك..

فقال عمر بن الخطاب : ماذا ترى يا أبا الحسن؟

قال على بن أبى طالب : أرى ديته – الصبى – عليك فإنك أنت أفزعتها –المرأة– وألقت ولدها بسببك ..

فأخذ أمير المؤمنين عمر برأى على بن أبى طالب وأمر أن يقسم دية الصبى على قومه. وهكذا نزل الفاروق على رأى أبى الحسن ولم يجد غضاضة فى العمل باجتهاده وهو أمير المؤمنين، وقد كان فى رأى غيره – بعض صحابة رسول الله – له منجاة.

وأراد عمر بن الخطاب أن يزيد فى المسجد النبوى الشريف فلقى العباس ابن عبد المطلب عم النبى عليه الصلاة والسلام فقال له :

– سمعت رسول الله ﷺ قبل موته يريد أن يزيد فى المسجد وأن دارك قريبة من المسجد فأعطنا إياها نزد فيه وأقطع لك أوسع منها.

فقال العباس بن عبد المطلب : لا أفعل.

فقال أمير المؤمنين عمر : إذن أغلبك عليها.

قال العباس بن عبد المطلب : ليس ذلك لك بينى وبينك من يقضى بالحق.

فقال الفاروق : من تختار؟

قال عم رسول الله ﷺ : حذيفة بن اليمان ..

ولم يستدع أمير المؤمنين عمر حذيفة بن اليمان إلى مجلسه بل ذهب إليه هو والعباس .. فجلسا أمامه وقصا عليه الخلاف الذى بينهما .. فقال حذيفة :

– سمعت أن نبى الله داود عليه السلام أراد أن يزيد فى بيت المقدس فوجد بيتا قريبا من المسجد وكان هذا البيت ليتيم فأبى فأراد داود أن يأخذه قهرا فأوحى الله إليه (إن أنزه البيوت عن الظلم لهو بيتى) فعدل داود وتركه لصاحبه.

فنظر عم رسول الله ﷺ نحو أمير المؤمنين عمر وقال :

– ألا تزال تريد أن تغلبنى على دارى؟

فقال الفاروق : لا .

فقال العباس بن عبد المطلب : ومع هذا فقد أعطيتك الدار تزيدها فى مسجد رسول الله ﷺ.

فزاد أمير المؤمنين عمر المسجد النبوى الشريف.

عام الرمادة :

وفى سنة ثمانى عشرة من الهجرة أصاب الناس مجاعة شديدة وجدب وقحط وسمى بعام الرمادة. فقد كانت الريح تسفى ترابا كالرماد، واشتد الجوع حتى جعلت الوحش تأوى إلى الإنس وجعل الرجل يذبح الشاة فيعافها من قبحها

.. وأمر أمير المؤمنين عمر يوما بنحر جزور وتوزيع لحمه على أهل المدينة .. فلما ذبح ووزع اللحم وجد أمير المؤمنين عمر أمامه سنام الجزور وكبده .. (وهما أطيب ما فيه) فتساءل : من أين هذا ؟

فقالوا : من الجزور الذى ذبح اليوم ..

فقال وهو يزيح الطعام من أمامه :

– بخ بخ، بئس الوالى أنا إن طعمت طيبها وتركت للناس كراديسها (عظامها).

ثم نادى خادمه أسلم وقال له :

– يا أسلم ارفع هذه الجفنة وائتنى بخبز وزيت.

كان عمر بن الخطاب يرى نفسه واحدا من الناس آثره الله عز وجل بمزيد من التبعة والواجب حين ولاه أمرهم، واستخلفه عليهم ولم يؤثره بامتياز يجعل سلطانه وحكمه كلأ مباحا وقنصا بواحا. فأى ضمير وأية مسئولية كانت تسيطر على هذا الرجل الملهم المنقطع النظير ؟؟ فقد حرم نفسه لا من الطيبات المشروعة للحاكمين فحسب، بل من طيبات مشروعة عادية فى كل مكان وزمان. كان أول من يجوع إذا جاعت رعيته وآخر من يشبع إذا شبعت رعيته .. وكان يقول :

– كيف يعنينى شأن الناس إذا لم يصبنى ما يصيبهم؟

وكان لا يأكل إلا الزيت حين لم يجد الناس اللحم والسمن، وأخذ يأكل الزيت حتى تئن أمعاؤه وتقرقر فيضع كفه على بطنه ويقول :

– أيها البطن لتمرنن على الزيت ما دام السمن يباع بالأواقى.

ودخل عمر بن الخطاب دار ابنه عبد الله يوما فوجده يأكل لحما فنظر إليه فى غضب كيف يأكل لحما والناس فى خصاصة؟ فقال غاضبا :

– الأنك ابن أمير المؤمنين تأكل لحما؟ الا خبزا وملحا؟ الا خبزا وزيتا؟

وعلم أمير المؤمنين عمر أن هناك رجلا محتكرا فقام الفاروق وقال :

– قال رسول الله ﷺ : الجالب مرزوق والمحتكر ملعون.

ثم أردف ابن الخطاب : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من احتكر على المسلمين طعاما ضربه الله بالجذام والإفلاس.

وخرج ذات ضحى إلى السوق فرأى إبلا سمانا فعجب وقال :

– إبل من هذه؟

قال الناس : إبل عبد الله بن عمر ..

فانتفض الفاروق وكأن القيامة قامت وقال بأعلى صوته :

– عبد اللّه بن عمر؟ بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين ..

وأرسل فى طلبه فجاء عبد الله فسأله :

– ماهذه الإبل يا عبد الله ؟

قال عبد الله بن عمر : إنها إبل أنضاء (هزيلة) اشتريتها بمالى وبعثت بها إلى الحمى (الرعى) أتاجر فيها وابتغى ما يبتغى المسلمون .

فقال عمر بن الخطاب ساخرا :

– ويقول الناس حين يرونها : ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين.. واسقوا إبل ابن أمير المؤمنين .. وهكذا تسمن إبلك ويربو ربحك يا ابن أمير المؤمنين.

ثم قال فى حزم :ياعبد الله بن عمر خذ رأس مالك الذى دفعته فى هذه الإبل واجعل الربح فى بيت مال المسلمين.

هل أتى عبد الله بن عمر منكرا؟ ألم يفعل كما يفعل الناس، يستثمر ماله الحلال؟ ولكن عمر بن الخطاب قد رفع شعار ابن أمير المؤمنين .. فلا تمنح له الفرص التى لا تتوافر لغيره من الرعية.

وجئ للفاروق يوما بغلمان صغار السن سرقوا ناقة رجل من مزينة فنظر أمير المؤمنين عمر إلى وجوههم الشاحبة وأجسادهم الضامرة ثم تساءل :

– من سيد هؤلاء؟

قالوا : حاطب بن أبى بلتعة.

فقال الفاروق عمر : إلى به ..

فلما جاء حاطب سأله عمر بن الخطاب : أنت سيد هؤلاء؟

قال حاطب بن أبي بلتعة : نعم يا أمير المؤمنين..

قال أمير المؤمنين عمر : لقد كدت أنزل بهم العقاب لولا ما أعلمه من أنكم تدئبونهم وتجيعونهم .. لقد جاءوا فسرقوا ولن ينزل العقاب إلا بك ..

ثم سأل الفاروق صاحب الناقة : يامزنى كم تساوى ناقتك؟

قال المزنى : أربعمائة ..

فقال عمر بن الخطاب لحاطب بن أبى بلتعة : اذهب فأعطه ثمانمائة درهم .. ثم ألتفت أمير المؤمنين عمر للغلمان وقال : اذهبوا ولا تعودوا لمثلها.

وجاء بلال بن الحارث المزنى إلى قبر النبى عليه الصلاة والسلام فقال :

– يارسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا.

فأتاه رسول الله ﷺ فى المنام وقال له :

– إيت عمر فمره أن يستسقى للناس فإنهم سيسقون، وقل له : عليك الكيس (العقل) الكيس.

فأتى الرجل أمير المؤمنين عمر فأخبره فبكى عمر وقال :

– يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه يا رب ما آلو إلا ما عجزت عنه.

فخرج أمير المؤمنين عمر فنادى فى الناس :

– الصلاة جامعة.

فصلى أمير المؤمنين عمر بالناس ركعتين .. ثم قال :

– أيها الناس أنشدكم الله هل تعلمون منى أمرا غيره خير منه؟

قال الناس : اللهم لا ..

قال عمر بن الخطاب : فإن بلال بن الحارث يزعم كذا وكذا ..

قالوا : صدق بلال ..

فقال عمر بن الخطاب :

- الله أكبر مدته فانكشف، ما أذن لقوم فى الطلب إلا وقد رفع عنهم البلاء.
فكتب الفاروق إلى أمراء الأمصار :

- أغيثوا أهل المدينة ومن حولها فإنه قد بلغ جهدهم.

وأخرج عمر بن الخطاب أهل المدينة إلى الاستسقاء. وخرج هو يرتدى قميص رسول الله ﷺ وخرج معه العباس بن عبد المطلب ماشيا وخطب ابن الخطاب فأوجز .. ثم صلى ثم جثا على ركبتيه وقال :

- اللهم إياك نعبد وإياك نستعين اللهم اغفر لنا وارحمنا وارض عنا، اللهم عجزت عنا أنصارنا وعجز عنا حولنا وقوتنا وعجزت عنا أنفسنا ولا حول ولا قوة إلا بك. اللهم اسقنا وأحى العباد والبلاد. اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا توسلنا إليك بنبينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ﷺ.

فما برح من مكانه حتى نزل المطر مدرارا.

عمر يصل نسبه بالنبي عليه الصلاة والسلام :

وأراد عمر بن الخطاب أن يصل نسبه بنسب النبى عليه الصلاة والسلام فتقدم إلى أبى الحسن وخطب ابنته أم كلثوم فقال على بن أبى طالب :

- إنما حسبت بناتي على بني جعفر.

فقال الفاروق :

- أنكحنيها ياعلى، فوالله ما على ظهر الأرض رجل يرصد من حسن صحابتها ما أرصد.

فقال أبو الحسن : قد فعلت ..

فـفرح الفاروق وجاء إلى مجلس المهاجرين بين القبر (قبر رسول الله ﷺ) والمنبر وكانوا يجلسون : على وعثمان والزبير وطلحة وعبد الرحمن ابن عوف فقال لهم :

– زفونى ..

فزفوه .. وقالوا : بمن يا أمير المؤمنين؟

قال عمر بن الخطاب : بابنة على بن أبى طالب.

ثم قال ابن الخطاب : قال رسول الله ﷺ : كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببى ونسبى. وكنت قد صحبته فأحببت أن يكون هذا أيضا.

عدله .. وكراماته :

نشر الفاروق العدل بين رعيته فلم تمض ليلة إلا خرج فى جولة من جولاته التى يخرج فيهاوحيدا أو بصحبته أحد، والناس نيام ليطمئن على رعيته ويبلو أحوالها وينفض الليل عن حاجاتها. وعند مشارف مدينة رسول الله ﷺ رأى رجلا بباب كوخ وعلم منه أن زوجه التى تئن وتعانى آلام المخاض وليس معها أحد يعينها (كان الرجل وامرأته من البادية وقد حطا رحالهما فى هذا المكان وحيدين غريبين) . فرجع الفاروق إلى داره وقال لزوجته أم كلثوم بنت على :

– هل لك فى مثوبة ساقها الله إليك؟

قالت أم كلثوم : خيرا.

قال أمير المؤمنين عمر : امرأة غريبة تمخض وليس معها أحد ..

قالت أم كلثوم : نعم إن شئت ..

وقام الفاروق فأعد من الزاد والا ،ون ما تحتاج إليه المرأة الوالدة من دقيق وسمن ومزق ثياب يلف فيها الوليد. وحـ مل أمير المؤمنين القدر على كتف والدقيق على كتف وقال لزوجته : اتبعينى ..

وسارا حتى بلغا الكوخ فأشار لأم كلثوم بنت على فدخلت لتساعد المرأة فى مخاضها. وجلس أبو حفص خارج الكوخ ينصب الأثافى ويضع فوقها القدر ويوقد تحتها النار وينضج للوالدة طعاما والزوج ينظر إليه شاكرا. وقال لنفسه:

– إن هذا الرجل الطيب أولى من ابن الخطاب بالخلافة .

وشق رداء الصمت صراخ الوليد .. وأدركه صوت أم كلثوم من جوف الكوخ:

– يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام..

وصار الأعرابى كالصنم من فرط الدهش والعجب .. يا أمير المؤمنين؟ أهذا عمر بن الخطاب ؟؟

ورأى أبو حفص الرجل ينظر إلى الدخان وهو ينبعث من لحيته فى دهش وذهول فقال له :

– أن أبق مكانك لا ترع (لاتفزع).

وحمل أمير المؤمنين القدر، ولما اقترب من الكوخ نادى زوجته :

– خذى القدر يا أم كلثوم، وأطعمى الأم وأشبعيها.

فلما فعلت أم كلثوم أعادت إليه القدر فقدمه الفاروق إلى الأعرابى وقال له:

– كل واشبع فإنك قد سهرت طويلا وعانيت كثيرا.

ثم انصرف أمير المؤمنين هو وزوجته أم كلثوم بنت على.

وذات يوم جمعة صعد أمير المؤمنين عمر منبر رسول الله ﷺ وبينما هو يخطب عرض له فى خطبته وقال :

– ياسارية بن حصن، الجبل، من استرعى الذئب ظلم.

فتلفت الناس بعضهم إلى بعض فقال على : صدق والله ليخرجن مما قال.. فلما فرغ الفاروق من صلاته .. قال له على :

– ما شئ سنح لك فى خطبتك؟

فتساءل أمير المؤمنين عمر : وماهو؟

فقال على : قولك يا سارية الجبل الجبل من استرعى الذئب ظلم ..

فقال عمر بن الخطاب : وهل كان ذلك منى؟

قال على : نعم .. وجميع أهل المسجد قد سمعوه ..

قال أمير المؤمنين عمر : إنه وقع فى خلدى أن المشركين هزموا إخواننا فركبوا أكتافهم وأنهم يمرون بجبل فإن عدلوا إليه قاتلوا من وجدوا وقد ظفروا وإن جاوزوا هلكوا فخرج منى ما تزعم أنك سمعته.

فجاء البشير بالفتح بعد شهر فيذكر أنه سمع فى ذلك اليوم وفى تلك الساعة حين جاوزوا الجبل صوتا يشبه صوت عمر بن الخطاب يقول :

- ياسارية الجبل الجبل ..

قالوا : فعدلنا إليه ففتح الله علينا ..

أليس هذا الرجل الملهم نورانيا ربانيا طار بصره فاخترق آلاف الأميال، وكأنه قمر صناعى أو تليفزيون إلهى فحذر صاحبه .. فاستجاب له وكان النصر المبين؟؟

وذات ضحى كان أمير المؤمنين عمر يجلس مع أصحابه فى ظل المسجد فوقف أعرابى عليه وقال :

ياعمر الخير جزيت الجنه

جهز بناتى واكسهنه

أقسم بالله لتفعلنه

فتساءل الفاروق : فإن لم أفعل يكون ماذا يا أعربى؟

قال الأعرابى :

أقسم بالله لأمضينه ..

فقال عمر بن الخطاب : فإن مضيت يكون ماذا يا أعرابى؟

قال الأعرابى :

والله عن حالى لتسألنه ... ثم تكون المسالات عنه

والواقف المسئول بينهنه ... إما إلى نار وإما جنه

فبكى أمير المؤمنين عمر حتى اخضلت لحيته بدموعه .. ثم قال لغلامه أسلم:

- يا غلام أعطه قميصي هذا لذلك اليوم، لا لشعره، والله لا أملك قميصا غيره.

وذات يوم كان الفاروق جالسا مع أصحابه فاقتحم المجلس رجل مكروب تغشاه وعثاء السفر ثم تساءل:

- أأنت عمر؟ ويل لك من الله ياعمر ..

ثم مضى غير وانٍ ولا مكترث .. فلحق به بعض الحاضرين يريدون أن يبطشوا به، ولكن أمير المؤمنين عمر أمرهم أن يعودوا إلى مجلسهم. وانطلق الفاروق خلف الرجل ليعرف لماذا قال له : ويل لك ياعمر؟ ماذا فعل؟ هل ظلمه؟

ولما لحق أمير المؤمنين بالرجل قال له : ويلي من الله لماذا؟

قال الرجل : لأن عمالك وولاتك لا يعدلون بل يظلمون..

فتساءل أبو حفص : أي عمالي تعني؟

قال الرجل : عامل لك في مصر اسمه عياض بن غنم ..

ولا يكاد الرجل ينتهي من شكواه حتى بعث الفاروق رجلين من أصحابه إلى مصر وقال لهما :

- اركبا إلى مصر وائتياني بعياض بن غنم ..

وجاء مصري إلى مدينة رسول الله ﷺ فشكا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب واليها عمرو بن العاص وزعم أن الوالي أجرى الخيل فأقبلت فرس المصري فحسبها محمد بن عمرو فرسه وصاح :

- فرسي ورب الكعبة ..

ثم اقتربت وعرفها صاحبها فغضب محمد بن العاص ووثب على المصري يضربه بالسوط ويقول له :

- خذها وأنا ابن الأكرمين.

ويلغ ذلك أباه عمرو بن العاص فخشى أن يشكوه المصرى، فحبس المصرى زمنا ومازال محبوسا حتى أفلت وقدم إلى المدينة فلقى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فلما سمع شكواه قال : ثم جلس ..

واستقدم عمرو بن العاص وابنه محمدا .. فمثلا فى مجلس القصاص فنادى الفاروق :

- أين المصرى ؟

فقال الرجل : هأنذا يا أمير المؤمنين .

فقدم إليه عمر بن الخطاب الدرة وقال له :

- دونك الدرة فاضرب بها ابن الأكرمين ..

فضربه حتى أثخنه وكان الحاضرون من المسلمين يشتهون أن يظل المصرى يضرب ابن عمرو بن العاص .. ابن الأكرمين ..

والفاروق يقول : اضرب ابن الأكرمين ..

ثم قال عمر للمصرى : اجعلها على صلعة عمرو فو الله ما ضربك ابنه إلا بفضل سلطانه ..

فقال عمرو بن العاص فزعا :

- يا أمير المؤمنين قد استوفيت واستشفيت ..

وقال المصرى معتذرا : يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربنى ..

فقال عمر بن الخطاب : أما والله لو ضربته (عمرو بن العاص) ما حلنا بينك وبينه حتى تكون أنت الذى تدعه.

والتفت إلى عمرو بن العاص وقال له مغضبا :

- أيا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا؟

لقد قال أمير المؤمنين الملهم قولة خالدة ما قالها حاكم قبله.

وفقد عمر بن الخطاب رجلا من أصحابه فقال لعبد الرحمن بن عوف :

– انطلق بنا إلى منزل فلان فننظر.

فأتيا منزله فوجدا بابا مفتوحا وهو جالس وامرأته تصب له فى الإناء فتناوله إياه .. فقال أمير المؤمنين عمر لعبد الرحمن بن عوف:

– هذا الذى شغله عنا؟

فقال عبد الرحمن بن عوف : ومايدريك ما فى الإناء؟

فقال عمر بن الخطاب : أتخاف أن يكون هذا هو التجسس؟

قال عبد الرحمن بن عوف : بل هو التجسس..

فتساءل الفاروق : وما التوبة؟

قال عبد الرحمن بن عوف :

– لا تعلمه بما اطلعت عليه من أمره، ولا يكونن فى نفسك إلا خيرا .

ثم انصرفا .. فلقى عمر فى الطريق رجلا فسأله عمر بن الخطاب :

– ما اسمك؟

قال الرجل : جمرة.

فقال أبو حفص : ابن من؟

قال جمرة : ابن شهاب.

قال أمير المؤمنين : ممن؟

قال جمرة بن شهاب : من الحرقة.

فقال ابن الخطاب : أين مسكنك؟

قال جمرة بن شهاب : الحرة.

قال عمر : بأيها؟

قال جمرة بن شهاب : بذات لظى ..

فقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : أدرك أهلك فقد احترقوا.

فانطلق جمرة بن شهاب .. فوجد أهله قد احترقوا .. كما قال له أبو حفص النوراني الرباني.

وأتى أهل مصر ذات ضحى قصر عمرو بن العاص حين دخل يوم من أشهر العجم فقالوا:

– أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها..

فتساءل عمرو بن العاص : وما ذاك؟

قال أهل مصر : إذا كان إحدى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الثياب والحلى أفضل مايكون ثم ألقيناها فى هذا النيل..

فقال لهم عمرو بن العاص : إن هذا لا يكون أبدا فى الإسلام وإن الإسلام يهدم ما كان قبله.

فأقاموا والنيل لايجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء. فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب إلى أمير المؤمنين عمر بذلك.

فكتب الفاروق : أن قد أصبت بالذى قلت وإن الإسلام يهدم ماكان قبله.

وبعث الفاروق بطاقة فى داخل كتابه، وكتب إلى عمرو بن العاص:

– إنى قد بعثت إليك ببطاقة فى داخل كتابى فألقها فى النيل.

فلما قدم كتاب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها:

– من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر وإن كان الله يجريك فأسأل الواحد القهار أن يجريك.

فألقى عمرو بن العاص البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم .. فأصبحوا! وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة .. وقطع الله تلك السنة (إلقاء جارية فى النيل) عن أهل مصر .. إلى اليوم .. بكرامة الفاروق عمر.

وفى سنة اثنتين وعشرين من الهجرة فتحت أذربيجان .. والدينور وماسبذان وهمذان وطرابلس الغرب والرى وعسكر وقومس..

البكاء من خشية الله :

ورأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الأموال التى تتدفق على مدينة رسول الله ﷺ وسمع الأخبار تأتى إليه من البلاد والأقطار التى فتحتها جيوش المسلمين فمزقت دولة الفرس وزلزلت سلطان الروم، فكاد أن يحمله الزهو على أجنحته، ولكنه تذكر فضل الله ونصره فدعا المسلمين للاجتماع .. ثم قال :

– أيها الناس لقد رأيتنى وأنا أرعى غنم خالات لى من بنى مخزوم نظير قبضة من تمر أو من زبيب.

ثم نزل من على المنبر بين دهش المجتمعين وتساؤلهم لماذا فعل أمير المؤمنين بنفسه هذا؟ كثيرا ما كان يذكر أنه عمير فجعله الإسلام عمر وأن الإسلام رفعه مكانا مرموقا..!

تقدم عبد الرحمن بن عوف نحو أمير المؤمنين وهو على مقربة من المنبر وقال له :

– ما أردت إلى هذا يا أمير المؤمنين؟

فقال أبو حفص : ويحك يا ابن عوف خلوت بنفسى فقالت لى : أنت أمير المؤمنين وليس بينك وبين الله أحد فمن ذا أفضل منك؟ فأردت أن أعرفها قدرها.

لقد كان الفاروق يخشى الله خشية الحر الذى يرجو لله عز وجل وقارا، ويضرع لربه إجلالا وإكبارا، ويخجل أن يلقاه بتقصير .. أى تقصير. لذلك كان أمير المؤمنين عمر يقول دوما :

– كنت وضيعا فرفعك الله، وكنت ضالا فهداك الله، وكنت ذليلا فأعزك الله، فما تقول لربك غدا إذا اتيته؟؟

وكان يسأل عبد الله بن قيس :

– يا أبا موسى هل يسرك أن إسلامنا مع رسول الله وهجرتنا معه وشهادتنا وعملنا كله يرد علينا لقاء أن ننجو كفافا لا لناولا علينا؟

فيقول أبو موسى الأشعرى: لا والله يا أبا حفص فلقد جاهدنا وصلينا وصمنا وعملنا خيرا كثيرا وأسلم على أيدينا خلق كثير وإنا لنرجو ثواب ذلك .

فيقول عمر بن الخطاب ودموعه تبلل لحيته :

– أما أنا فو الذى نفسى بيده لوددت أن ذلك يرد إلى ثم أنجو كفافا رأسا برأس.

وعلى الرغم من أن رسول الله ﷺ قد بشره بالجنة فقد كان يخشى الله ويستحى من ربه جل جلاله وإنه لأقوى من كل شهوة وزلة.

وتأخر أمير المؤمنين عمر عن خطبة الجمعة فجاء مهرولا فى بردة بها إحدى وعشرون رقعة تحتها قميص لم يجف بعد من البلل. ثم لا يكاد يصعد المنبر حتى يعتذر للناس:

– حبسنى عنكم قميصى هذا .. كنت أنتظره حتى يجف إنه ليس لى قميص غيره.

وذات يوم تلقى أبا حفص من أحد ولاته هدية من الحلوى فسأل أمير المؤمنين الرسول الذى جاء بها :

– ماهذا ؟

قال رسول عتبة بن فرقد :

– حلوى يصنعها أهل اذربيجان وقد أرسلنى بها إليك عتبة ..

فذاقها عمر بن الخطاب فوجد لها مذاقا شهيا .. فقال :

- أو كل الناس هناك يأكلون هذا؟

فقال رسول عتبة بن فرقد : لا وإنما هو طعام الخاصة ..

فأعاد أمير المؤمنين عمر إغلاق الإناء جيدا وقال :

- أين بعيرك؟ خذ جملك هذا وارجع به لعتبة وقل له : عمر يقول لك : اتق الله وأشبع المسلمين مما تشبع منه.

هذا هو أمير المؤمنين الذى ليس له مكان الصدارة ولا فى مقدمة موكب .. إلا فى المخاطر . وإذا أقبلت نعمة لا تمتد إليها يده إلا بعد أن تكون قد مرت برعيته .. كلها.

وإذا أراد أمير المؤمنين عمر أن يتذكر ويتبصر ويرتجف كعصفور احتواه إعصار قرأ قوله تعالى : ﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾[1] لقد كان يدعو أبا موسى الأشعرى ليتلو عليه بصوته العذب آيات من القرآن العظيم ويقول له :

- ذكرنا ربنا أبا موسى..

فيقرأ عبد الله بن قيس .. ويبكى عمر بن الخطاب .

ودخل ابن لعمر بن الخطاب عليه وقد ترجل ولبس ثيابا حسانا فضربه بالدرة حتى أبكاه فقالت أخته حفصة :

- لم ضربته يا أمير المؤمنين؟

قال الفاروق : رأيته قد أعجبته نفسه فأحببت أن أصغرها إليه.

وكتب قيصر إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب : إن رسلى أتتنى من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليست بخليفة شئ من الشجر، تخرج مثل آذان الحمير، ثم تنشق عن مثل اللؤلؤ ثم يخضر فيكون كالزمرد الأخضر ثم يحمر فيكون كالياقوت ثم يينع فينضج فيكون كأطيب فالوذج اكل ثم ييبس فيكون

---

(١) سورة الإسراء آية ١٤.

عصمة العقيم وزادا للمسافر؟ فإن تكن رسلى صدقتنى فلا أدرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة.

فكتب إليه الفاروق : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم، إن رسلك قد صدقوك هذه الشجرة عندنا هى الشجرة التى أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله فإن : ﴿مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب﴾[1]

واختصم مسلم ويهودى إلى أمير المؤمنين عمر فرأى أبو حفص الحق لليهودى فقضى له فقال اليهودى:

- والله لقد قضيت بالحق ..

فضربه الفاروق بالدرة وقال : وما يدريك؟

قال اليهودى : والله إنا نجد فى التوراة ليس قاض يقضى بالحق إلا كان عن يمينه ملك وعن شماله ملك يسددانه ويوفقانه مادام مع الحق فإذا ترك الحق عرجا وتركاه.

لقد كان أمير المؤمنين عمر إذا ورد عليه الخصم نظر فى كتاب الله فإن وجد فيه ما يقضى به بينهم قضى به وإن لم يكن فى الكتاب وعلم من رسول الله ﷺ فى ذلك الأمر سنة قضى بها فإن أعياه أن يجد فى القرآن والسنة نظر : هل كان لأبى بكر فيه قضاء ؟ فإن وجد أبا بكر قضى فيه بقضاء قضى به وإلا دعا رءوس المسلمين فإن اجتمعوا على أمر قضى به.

وذات ليلة كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فى مسجد النبى عليه الصلاة والسلام فتساءل:

- والله ما أدرى أخليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكا فهذا أمر عظيم ..

فقال سلمان الفارسى : يا أمير المؤمنين إن بينهما فرقا ..

فقال الفاروق : ماهو؟

---

(١) سورة آل عمران آية ٥٩.

قال سلمان الفارسى : إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهما أو أقل أو أكثر ثم وضعته فى غير حقه فأنت ملك. فالملك يعسف الناس(يظلمهم ويقسو عليهم) فيأخذ من هذا ويعطى هذا، أما الخليفة فلا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا فى حق .. وأنت بحمد الله كذلك.

فسكت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

وركب أمير المؤمنين عمر فرسا فانكشف ثوبه عن فخذه فرأى كعب الأحبار بفخذه شامة سوداء فقال :

– إنا لنجدك فى كتاب الله على باب جهنم تمنع الناس أن يقعوا فيها .. فإذا مت لم يزالوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة

روايته عن رسول الله :

وروى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب لرسول الله ﷺ خمسمائة حديث وتسعة وثلاثين حديثا روى عنه عثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وأبو ذر الغفارى وعمرو بن عبسة وعبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عباس وعبد الله بن الزبير، وأنس بن مالك وأبو هريرة، وعمرو بن العاص، وأبو موسى الأشعرى، والبراء بن عازب، وأبو سعيد الخدرى، وأناس آخرون من الصحابة وغيرهم.

فراسته :

وكان عمر بن الخطاب حكيما عبقريا بالنفوس البشرية فكان يقول :

– أحبكم إلينا قبل أن نراكم أحسنكم سيرة فإذا تكلمتم فأبينكم منطقا فإذا اختبرناكم فأحسنكم فعلا.

فالمظاهر العابرة لا تكفى عند أبى حفص لتكون حكما عن الآخرين .. سمع يوما رجلا يطرى رجلا آخر ويمتدحه فقال :

– إن فلانا رجل صدق .

فسأله عمر بن الخطاب : هل سافرت معه يوما؟

فهز الرجل رأسه وقال : لا .

فقال الفاروق : هل كانت بينكما خصومة يوما؟

قال الرجل : لا.

فعاد أمير المؤمنين عمر يتساءل : هل ائتمنته يوما على شئ؟

فقال الرجل : لا.

فقال عمر بن الخطاب : إذن لا علم لك به. لعلك رأيته يرفع رأسه فى المسجد ويخفضه.

وكان أمير المؤمنين يختار ولاته بعنايةودقة فائقة. وكان يتحقق بنفسه وعلى الفور من كل شكوى يشكوها إنسان من حاكم، ويتبع فى يقظة سلوك ولاته فى كل الأمصار .. فلما أراد ابن الخطاب أن يرسل واليا إلى حمص-كانوا أهل شكاية وتمرد - أرسل سعيد بن عامر وقال له ولأصحابه:

- أريد لولاتى أن يتفوقوا على الناس بأناقة النفس لا بأناقة اللباس، وبمحامد الأفعال لا بالمظاهر الكاذبة، ليظلوا فى مكانهم الحق خداما للناس سادة لهم، أريد ولاتى على الناس رحمة ورخاء وأمنا.

وعلى الرغم من ورع وعدل سعيد بن عامر فقد أقبلت من الشام زمرة شاكية إلى مدينة رسول الله ﷺ فصحبهم أمير المؤمنين عمر إلى حمص .. وواجههم به فقالوا :

- نشكو من سعيد بن عامر أربعا : أولها أنه لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار..

فقال عمر بن الخطاب فى نفسه :

- اللهم إنى أعرف ابن عامر من خير عبادك .. اللهم لا تخيب فراستى ..

قال سعيد بن عامر : والله يا أمير المؤمنين إن كنت لأكره ذكر السبب ..

ولكن ليس لأهلى من يخدمهم - ليس لهم خادم - فأنا أعجن معهم عجينى ثم أجلس حتى يختمر .. ثم أخبز خبزى .. ثم أتوضأ وأخرج إلى الناس ..

فأشرقت أسارير وجه أمير المؤمنين قال :

- والثانية ؟

قالت الزمرة الشاكية : ثانيتها : أنه لا يجيب أحدا بليل يا أمير المؤمنين..

قال سعيد بن عامر : والله إن كنت أكره ذكره .. إنى جعلت النهار لهم .. وجعلت الليل لله عز وجل .

فتهلل وجه عمر وقال : وماذا أيضا؟

قالت الزمرة الشاكية : ثالثتها : أن له فى الشهر يوما لا يقابل فيه أحدا..

قال سعيد بن عامر : ليس لى خادم يغسل ثيابى .. ففى هذا اليوم أغسلها وانتظرها حتى تجف .. ثم أخرج إليهم.

فتساءل الفاروق : وماذا أيضا تشكون منه؟

قالت الزمرة الشاكية : رابعتها : يا أمير المؤمنين أن الغاشية تأخذ سعيد بن عامر بين الحين والحين.

قال سعيد بن عامر : لقد شهدت مصرع خبيب بن عدى الأنصارى بمكة، وقد بضعت قريش لحمه وحملوه على جذعه - خشبة طويلة - وأبو سفيان يقول له : أتحب محمدا مكانك وأنت سليم معافى؟ فيجيب : والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى ومعى عافية الدنيا ونعيمها ويصاب رسول الله ﷺ بشوكة، فمنذ ذلك المشهد الذى رأيته وأنا يومئذ من المشركين .. ثم تذكرت تركى نصرة خبيب يومها أرتجف خوفا من عذاب الله ويغشانى الذى يغشانى. فسكتت الزمرة الشاكية وكأن سعيد بن عامر ألقمهم حجارة .. وتطاول عنق عمر بن الخطاب فعانق سعيدبن عامر وقال فى حبور وبشر:

- الحمد لله الذى لم يخيب فراستى.

ولقى عمر بن الخطاب نافع بن عبد الحرث بعسفان وكان أمير المؤمنين عمر استعمله على مكة فسأله :

– من استخلفت على أهل الوادى؟

قال نافع بن عبد الحرث : استخلفت عليهم ابن أبزى.

فقال أمير المؤمنين عمر : ومن ابن أبزى؟

قال نافع بن عبد الحرث : رجل من موالينا ..

فتساءل أبو حفص : فاستخلفت عليهم مولى ؟

قال نافع بن عبد الحرث : إنه قارئ لكتاب الله تعالى عالم بالفرائض قاض ..

قال أمير المؤمنين عمر : أما إن نبيكم ﷺ قال : إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين .

من أقواله وعظاته :

لقد كان نهج عمر بن الخطاب صريحا قويما .. وقال فى بعض عظاته :

– لا تنظروا إلى صيام أحد ولا إلى صلاته ولكن انظروا من إذا حدث صدق وإذا ائتمن أدى وإذا أشفى – هم بالمعصية – ورع.

وقال : لايعجبنكم من الرجل طنطنته ولكن .. من أدى الأمانة إلى من ائتمنه وسلم الناس من يده ولسانه.

وقال فى عمل الدنيا والآخرة : ليس خيركم من عمل للآخرة وترك الدنيا أو عمل للدنيا وترك الآخرة ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه. وإنما الحرج فى الرغبة فيما تجاوز قدر الحاجة وزاد على حد الكفاية.

وكان الفاروق يكره المتوانى ليقال إنه متوكل على الله، أو يتراءى بالضعف ليقال إنه ناسك أو يفرط فى العبادة ليقال إنه زاهد فى الدنيا.

قال الفاروق : إن المتوكل الذى يلقى حبة فى الأرض ويتوكل على الله .. ولا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول : اللهم ارزقنى وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة، وإن الله يرزق الناس بعضهم من بعض.

وكان عمر بن الخطاب يضرب من يتماوت ويستكين ليظهر التخشع فى الدين .. فرأى الفاروق يوما رجلا مظهرا للنسك متماوت المشية فخفقه بالدرة وقال له :

– لا تمت علينا ديننا أماتك الله.

ونظر إلى شاب منكس الرأس فصاح به :

ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما فى القلب، فمن أظهر للناس خشوعا فوق ما فى قلبه فإنما أظهر للناس نفاقا إلى نفاق.

وقال عمر بن الخطاب فى الحث على طلب التدين فى الصديق:

– عليك بإخوان الصدق تعش فى أكنافهم، فإنهم زينة فى الرخاء، وعدة فى البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يغلبك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين من القوم، ولا أمين إلا من خشى الله فلا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر فى أمرك الذين يخشون الله تعالى.

وبينما كان عمر بن الخطاب جالسا مع أصحابه تساءل:

– ما ترون الشهداء؟

قال القوم : يا أمير المومنين هم من يقتل فى هذه المغازى.

فقال أبو حفص : إن شهداءكم إذا لكثير . إنى أخبركم عن ذلك أن الشجاعة والجبن غرائز (جمع غريزة وهى الطبيعة) فى الناس يضعها الله حيث يشاء فالشجاع يقاتل من وراء من لا يبالى أن يؤوب إلى أهله، والجبان فار عن حليلته (زوجته)، ولكن الشهيد من احتسب بنفسه والمهاجر من هجر مانهى الله عنه، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

ومن مـواعظه الـوجيـزة العمـيقـة التى تتركـز فيـها حكمـه أنه قد وعـظ رجلا فقال له :

– لا تلهك الناس عـن نفسـك فـإن الأمر يصـيـر إليك دونـهـم، ولا تقطع النهـار سـاريا، فإنه مـحـفـوظ عليك مـا عـملت وإذا أسأت فـأحـسن فإنى لا أرى شـيـئا أشـد طلبا ولا أسـرع دركة من حسـنة حديثة لذنب قديم.

ووضع عمر بن الخطاب ثمانى عشـرة كلمة للناس حكم كلها :

– ما عاقبت من عصى الله فـيك بمثل أن تطيع الله فيه، وضـع أمر أخيك على أحسنه حـتى يجيئك منه مـا يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من مـسـلم شرا وأنت تجد لها فى الخـيـر محملا، ومـن عرض نفسه للتهم فـلا يلومن من أساء به الظن. ومن كـتم سـره كـانت الخـيـرة فى يده. عليك بإخـوان الصـدق تعش فى أكنافـهم فإنهم زينة فـى الرخاء وعدة فى البـلاء، وعليك بالصـدق وإن قـتلك، لا تعرض فيما لا يعنى ولا تسأل عما لم يكن، فـإن فيما كان شـغلا عـما لم يكن. لا تطلبن حاجتك ممن لا يحب نجـاحـهـا لك، ولا تهـاون بالحلف الكاذب فـيـهـلكك الله. ولا تصـحب الفـجار لتـتعلم من فـجورهـم، واعـتزل عـدوك واحذر صـديقك إلا الأمـين ولا أمين إلا من خـشى الله. وتخـشع عند الـقبـور وذل عند الـطاعة، واسـتـعـصـم عند المعـصـيـة، واسـتـشـر فى أمـرك الذين يخشـون الله فإن الله تعـالى يقول : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾.[1]

وقـال عـمـر بن الخطاب للأحنف بن قـيس : يـا أحنف من كـثـر ضـحكه قلت هيبتـه، ومن مزح استخف به، ومـن كثر كلامه كـثر سـقطه، ومن كـثـر سـقطه قل حياؤه ومـن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه.

وقال أبو حفص : كرم المرء تقواه ودينه وحسبه ومروءته، والـجرأة والـجبن غرائز فى الـرجال، فيقاتل الرجل الشجاع عمن يعرف ومن لا يعرف، ويفر الجبان عن أبيه وأمه، والحـسب والمال والكرم التقوى. لست بأخير من فـارسى ولا عجمى ولا نبطى إلا بالتقوى.

---

(١) سورة فاطر آية ٢٨.

وكتب أمير المؤمنين عمر إلى أبي موسى الأشعرى : إن الحكمة ليست عن كبر السن ولكنه عطاء الله يعطيه من يشاء فإياك ودناءة الأمور ومذاق الأخلاق .

وكان أمير المؤمنين عمر يقول :

– الناس بزمانهم اشبه منهم بآبائهم.

ويقول : ما من أحد عنده نعمة إلا وجدت لها حاسدا، ولو كان المرء أقوم من القدح لوجدت له غامزا.

وكان عمر بن الخطاب يقول : يا ليتنى كنت كبش أهلى، سمنونى ما بدا لهم حتى إذا كنت كأسمن ما يكون زارهم من يحبون فذبحونى لهم فجعلوا بعضى شواء وبعضى قديدا ثم أكلونى ولم أكن بشرا.

وكتب أمير المؤمنين عمر إلى ابنه عبد الله بن عمر :

أما بعد فإنى أوصيك بتقوى الله فإنه من اتقى الله وقاه ومن توكل على الله كفاه، ومن أقرضه جزاه، ومن شكره زاده، ولتكن التقوى نصب عينيك، وعماد عملك وجلاء قلبك فإنه لا عمل لمن لا نية له، ولا أجر لمن لا حسبة له، ولا مال لمن لارفق له، ولا جديد لمن لا خلق له.

وذات يوم قائظ يكاد حره يذيب الجبال أطل عثمان بن عفان من داره بالعالية فرأى رجلا يسوق أمامه بعيرين صغيرين والهواء الساخن يغشاه كلفح السموم فقال عثمان فى نفسه :

– ما على هذا الرجل العابر لو أقام بالمدينة حتى يبرد؟

وأمر ذو النورين خادمه أن ينظر من هذا الرجل العابر من بعيد والذى تخفى الريح والرمال السافيات معالمه.

ونظر الخادم من فرجة الباب فوجده رجلا معمما بردائه يسوق بكرين أمامه. وانتظر حتىاقترب .. فلما عرفه صاح فى دهش:

– إنه أمير المؤمنين عمر..

فأخرج ذو النورين رأسه من كوة صغيرة متوقيا سخونة الريح ونادى :

– ما أخرجك هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟

فقال عمر بن الخطاب : بكران من إبل الصدقة تخلفا عن الحمى (الرعى) وخشيت أن يضيعا فيسألنى الله عز وجل عنهما.

فقال عثمان بن عفان : هلم إلى الظل والماء ونحن نكفيك هذا الأمر.

فقال أبو حفص : عد إلى ظلك ياعثمان..

قال ذو النورين : عندنا من يكفيك هذا الأمر يا أمير المؤمنين.

فقال الفاروق مرة أخرى : عد إلى ظلك ياعثمان.

ومضى الفاروق لسبيله والحر يصهر الصخر .. فقال ذو النورين مأخوذا مبهورا :

– من أراد أن ينظر إلى القوى الأمين .. فلينظر إلى عمر بن الخطاب.

أهذا غريب على رجل يهب كالطوفان إذا سمع أن درهما واحدا من أموال المسلمين قد اختلس أو أنفق فى ترف أو إسراف؟ إنه عمر أول من عس الليل، وأول من عاقب على الهجاء، وأول من نهى عن بيع أمهات الأولاد، وأول من جمع الناس فى صلاة الجنازة على أربع تكبيرات (كانوا قبل ذلك يصلون أربعا وخمسا وستا) وأول من حمل الدرة وضرب بها وهو الذى قال :

– والذى بعث محمدا ﷺ بالحق لو أن جملا هلك ضياعا بشط الفرات لخشيت أن يسألنى الله عنه.

وقدم من بلاد العجم بعض أشرافهم فلما اقتربوا من مدينة رسول الله ﷺ توقفوا عن المسير وتساءل بعضهم :

– كيف يكون قصر عمر بن الخطاب؟ هل بناه من اللؤلؤ والمرجان؟

وقال بعضهم: هل حلته من الذهب الخالص أم من الحرير الموشى بالذهب؟

وقال بعضهم : كيف نراه وحوله الجند والخدم؟

ودخلوا المدينة فسألوا عن عمر بن الخطاب فقال لهم رجل وهو يشير بيده:

– لقد رأيته نائما تحت شجرة هناك.

فقال سادات الفرس : إننا نسأل عن عمر أمير المؤمنين.

فقال الرجل وهو يمشى أمامهم : تعالوا معى.

ووقفوا .. وعجبوا ثم عادوا يتساءلون :

– أهذا عمر أمير العرب؟ أهذا الذى هزم الروم والفرس؟

فقال الرجل : نعم ..

فعادوا ينظرون إلى أبى حفص وقد نام تحت شجرة وقد وسد رأسه ذراعه وليس حوله من يحرسه يرتدى رداء خشنا. أين قصره العظيم، وأين الملابس الحريرية والحرس و ..؟

فقالوا فى صدق الحكماء : لقد عدلت فى حكمك يا عمر فأمنت من رعيتك ونمت هادئا لا تخاف أحدا، أما الملوك فكانوا يبتعدون عنا ويضعون أمامهم حراسا وخلفهم حراسا خوفا على أنفسهم.

سمع أبو حفص قولهم فاستيقظ ونظر إليهم .. ثم تبسم وقال :

– مرحبا بكم.

فقالوا : قد جئنا لنراك ياعمر، وكنا نبغضك كل البغض، فلما رأيناك أعجبنا بك كل الإعجاب وأحببناك كل الحب وإن عندنا ميلا شديدا إلى دينك الذى يسوى بين الغنى والفقير والأبيض والأسود.

ونطقوا بشهادة الحق .. جميعا .. فأنزلهم أمير المؤمنين عمر منازل بالمدينة.

خروجه للحج بالمسلمين :

وفى سنة ثلاث وعشرين من الهجرة خرج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومعه نساء النبى عليه الصلاة والسلام حاجا .. فلما فرغ من الحج نزل بالأبطح ثم استلقى ورفع يديه إلى السماء وقال :

– اللهم كبرت سني وضعفت قوتي وانتشرت رعيتي فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرط.

وسأل أمير المؤمنين عمر الله عز وجل أن يقبضه إليه وأن يمن عليه بالشهادة فى بلد رسول الله ﷺ فقال :

اللهم إنى أسالك شهادة فى سبيلك وموتا فى بلد رسولك.

ورجع أبو حفص إلى المدينة، ثم سأل أمير المؤمنين عمر بشار بن نمير : كم انفقنا فى حجتنا هذه؟

قال بشار : خمسة عشر دينارا.

فقال أبو حفص فى عجب : لقد أسرفنا فى هذا المال.

كانت له نظرة تحير العقول تجاه أموال الأمة .. لقد حج فما ضرب له فسطاط ولا كان له قبة ولا بناء يستظل به إنما يلقى كساء على شجرة تحميه وقدة الحر وقيظ الجبال المستعر .. الرجل الذى وضعت تحت يده خزائن كسرى وقيصر ينفق خلال رحلة حجه كلها خمسة عشر دينارا ثم يقول :

– لقد أسرفنا ؟؟؟

وكأن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب يتذكر الموت كل ساعة وكان نقش خاتمه .. كفى بالموت واعظا ياعمر.

صفته .. ومقتله :

وكان الفاروق طويلا آدم أصلع أعسر أيسر (يعنى يعمل بيديه) وكان لطوله كأنه راكب، وقيل كان أبيض أبهق (يعنى شديد البياض) تعلوه حمرة طوالا أصلع أشيب، وكان يصفر لحيته ويرجل رأسه.

وخرج أمير المؤمنين عمر يوما إلى السوق فلقيه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة الثقفى وكان أبو لؤلؤة نصرانيا فقال :

– يا أمير المؤمنين أعدنى (أعنى وانصرنى) على المغيرة بن شعبة فإن على خراجا كثيرا.

فتساءل الفاروق : وكم خراجك؟

قال أبو لؤلؤة : درهمان كل يوم.

فقال أبو حفص : وأيش صناعتك؟

قال أبو لؤلؤة : نجار. نقاش . حداد.

فقال أمير المؤمنين عمر : فما أرى خراجك كثيرا على ما تصنع من الأعمال .. قد بلغنى أنك تقول : لو أردت أن أصنع رحى تطحن بالريح (بالهواء) لفعلت؟

قال أبو لؤلؤة : نعم .

فقال أبو حفص : فاعمل لى رحى.

قال أبو لؤلؤة وهو ينظر إلى عمر نظرة ذات مغزى : لئن سلمت لأعملن لك رحى يتحدث بها من بالمشرق والمغرب.

ثم انصرف أبو لؤلؤة عن عمر بن الخطاب .. فقال الفاروق :

– لقد أوعدنى العبد الآن.

ثم رجع عمر بن الخطاب إلى منزله. فلما كان الغد جاءه كعب الأحبار فقال له :

– يا أمير المؤمنين اعهد فإنك ميت فى ثلاث ليال.

فتساءل الفاروق : وما يدريك؟

قال كعب الأحبار : أجده فى كتاب التوراة.

فقال عمر بن الخطاب : الله إنك لتجد عمر بن الخطاب فى التوراة؟

قال كعب الأحبار : اللهم لا، ولكنى أجد حليتك وصفتك وإنك قد فنى أجلك.

قال عمر بن الخطاب : وعمر لا يحس وجعا؟

فقال كعب الأحبار : وجدتك فى التوراة تقتل شهيدا.

قال أبو حفص : وأنى لى بالشهادة وأنا بجزيرة العرب؟

ثم رأى الفاروق رؤيا : رأيت كأن ديكا نقرنى نقرة أو نقرتين .. وإنى لا أراه إلا حضور أجلى.

فلما كان الغد جاءه كعب الأحبار فقال : مضى يومان وبقى يوم.

فلما كان أمير المؤمنين عمر يصلى صلاة الصبح من يوم الأربعاء لأربع بقين من ذى الحجة من سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ضربه أبو لؤلؤة – فيروز – المجوسى بخنجر ثلاث ضربات فخر عمر من قامته ..

فقيل لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب : ألا تستخلف عبد الله بن عمر؟

فقال أبو حفص : قاتلكم الله، والله ما أردتُ الله بهذا، أستخلف رجلا لم يحسن أن يطلق امرأته؟

ثم قال أمير المؤمنين عمر : قد رأيت من أصحابى حرصا سيئا ولو أدركنى أحد رجلين ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به : سالم مولى أبى حذيفة (مات فى حرب اليمامة) وأبو عبيدة بن الجراح (مات فى خلافة أمير المؤمنين عمر).

وجعل أبو حفص يألم فدخل عليه عبد الله بن عباس وقال له :

– يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذاك لقد صحبت رسول الله ﷺ فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته ثم فارقته وهو عنك راض، ثم صحبت صحبتهم فأحسنت صحبتهم ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون.

فقال عمر بن الخطاب : أما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ ورضاه فإنما ذاك مَنٌّ مِنَ الله تعالى منٌّ به على.

وأما ما ذكرت من صحبة أبى بكر ورضاه فإنما ذاك منٌّ من الله جل ذكره مَنَّ به على، وأما ما ترى من جزعى فهو من أجلك وأجل أصحابك، والله لو أن لى طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه.

فقال ابن عباس : أبشر بالجنة صاحبت رسول الله ﷺ فأطلت صحبته ووليت أمر المؤمنين فقويت وأديت الأمانة.

فقال الفاروق : أما تبشيرك إياى بالجنة فو الله الذى لا إله إلا هو لو أن لى الدنيا وما فيها لافتديت به من هول ما أمامى قبل أن أعلم الخبر، وأما قولك فى إمرة المؤمنين فوالله لوددت أن ذلك كفاف لا لى ولا على، وأما ما ذكرت من صحبة رسول الله ﷺ فذاك.

وعاد أصحاب عمر يطلبون منه أن يستخلف فقال : إن أدركنى أجلى وأبو عبيدة بن الجراح حى استخلفته فإن سألنى ربى قلت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن لكل نبى أمينا وأمينى أبو عبيدة بن الجراح، فإن أدركنى أجلى – وقد توفى أبو عبيدة – استخلفت معاذ بن جبل فإن سألنى ربى : لم استخلفته؟ قلت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إنه يحشر يوم القيامة بين يدى العلماء نبذة.

ودخل كعب الأحبار مع الناس فلما رآه عمر قال :

توعدنى كعب ثلاثا أعدها ... ولا شك أن القول ما قال لى كعب

وما بى حذار الموت إنى لميت ... ولكنِ حذار الذنب يتبعه الذنب

ولما حضرت أمير المؤمنين عمر الوفاة قال :

– ادعوا لى عليا وطلحة والزبير وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص.

فلما جاءوا لم يكلم أحدا منهم إلا عليا وعثمان .. فقال لعلى :

– ياعلى هولاء النفر يعرفون لك قرابتك من رسول الله ﷺ ، وما آتاك الله من العلم والفقه فاتق الله إن وليت هذا الأمر فلا ترفعن بنى فلان (يعنى بنى هاشم) على رقاب الناس.

وقال الفاروق لعثمان : ياعثمان هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من رسول الله ﷺ وسنك وشرفك فإن انت وليت هذا الأمرفاتق الله ولا ترفع بنى فلان (يعنى بنى أمية) على رقاب الناس.

وقال عمر بن الخطاب :

– ادعوا لى صهيبا (صهيب بن سنان الرومى).

فلما جاء صهيب قال له عمر : صل بالناس ثلاثا. وليجتمع هؤلاء الرهط (على وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير) فى بيت فإن اجتمعوا على رجل (اختاروا رجلا للخلافة) فاضربوا رأس من خالفهم.

ثم قال عمر بن الخطاب لأصحاب الشورى :

– تشاوروا فى أمركم فإن كان اثنان واثنان واثنان فارجعوا فى الشورى وإن كان أربعة واثنان فخذوا صف الأكثر، وإن اجتمع رأى ثلاثة وثلاثة فاتبعوا صف (الجانب الذى فيه رأى) عبد الرحمن بن عوف واسمعوا وأطيعوا.

وقبل أن يلفظ عمر أنفاسه قال لزيد بن الأسود (أبى طلحة):

– يا أبا طلحة كن فى خمسين من قومك من الأنصار مع هؤلاء النفر أصحاب الشورى، فإنهم فيما أحسب سيجتمعون فى بيت أحدهم فقم على ذلك الباب بأصحابك فلا تترك أحدا يدخل عليهم ولا تتركهم يمضى اليوم الثالث حتى يؤمروا أحدهم .. اللهم انت خليفتى فيهم.

ولما احتضر الفاروق ورأسه فى حجر ابنه عبد الله قال :

ظلوم لنفسى غير أنى مسلم　　أصلى الصلاة كلها وأصوم

ولما احتضر عمر بن الخطاب قال لابنه عبد الله :

– ياعبد الله ائت أم المؤمنين عائشة فقل لها : إن عمر يقرئك السلام، ولا تقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم بأمير المؤمنين، وقل : يستأذن أن تدفنيه مع صاحبيه – رسول الله ﷺ والصديق – فإن أذنت فادفنونى وإن أبت فردونى إلى مقابر المسلمين.

فأتاها عبد الله بن عمر وهو يبكى فقال :

- يا أم عبد الله - كانت تكنى بابن أختها أسماء عبد الله بن الزبير - إن عمر يستأذن فى أن يدفن مع صاحبيه.

فقالت عائشة بنت أبى بكر : لقد ادخرت ذلك المكان لنفسى ولأوثرنه اليوم على نفسى.

فلما رجع عبد الله بن عمر إلى الفاروق وأقبل عليه قال عمر بن الخطاب :

- أقعدونى .

فلما أقعدوه سأل ابنه عبد الله : ما وراءك؟

قال ابن عمر : قد أذنت لك ..

فقال الفاروق : الله أكبر ما شئ أهم إلى من ذلك المضجع.

ولم يزل يذكر الله تعالى ويديم الشهادة إلى أن توفى.

ومات عمر بن الخطاب بعد ثلاثة أيام من جراحته فصلى عليه صهيب بن سنان الرومى ودفن إلى جانب أبى بكر الصديق على مقربة من قبر النبى عليه الصلاة والسلام.

وكانت خلافة الفاروق عشر سنين وخمسة أشهر وإحدى وعشرين ليلة. وكان له من العمر ثلاث وستون سنة.

